الإعجاز تستهل عامها الخامس

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة لبنان

العدد السابع عشر-السنة الخامسة-ربيع ١٤٣٢هـ-٢٠١١ م

الإعجاز تستهل عامها الخامس

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة-لبنان

العدد السابع عشر-السنة الخامسة-ربيع ١٤٣٢هـ-٢٠١١ م

جمعية علم وخبر ٢٧٩/اد/٢٠٠٥/تعديل ٥٤/اد/٢٠٠٧

الفهرس

إفتتاحية العدد	أ. صلاح سلام	٤
كلمة العدد: «الإعجاز» تستهل عامها الخامس	رئيس التحرير	٥
الهدي النبوي في تسويك اللسان ... سبق علمي	د. طارق عبده إسماعيل	٦
مسواك عود الأراك وتأثيره على صحة الفم	د. مشاري العتيبي	٩
الوجه العلمي لخبر شق صدر النبي	أ. محمد فرشوخ	١١
الهدي النبوي في العلاج بالقسط	د. محمد نزار الدقر	١٤
الإعجاز النبوي في تدابير الوقاية الصحية	د. رجاء محمود مليائي	٢٠
الحجر الصحي	د. محمد علي البار	٢٢
التداوي بالحجامة ... هدي نبوي	د. عصام المقدم	٢٣
الحجامة أسرار وعلاج	د. عبد الدائم الكحيل	٢٨
آزر أبو إبراهيم	د. ناصر المنشاوي	٤٦
الرحمن علم القرآن: إعجاز الإخبار عن الأمم السالفة	أ. باسم علي	٤٩
Seven stages of life in Islam	Dr. M. Suleiman	٦٢
الصفحة الأخيرة: «هنالك»	أ. محمد فرشوخ	٦٤

رئيس التحرير: ع. ر. م. محمد فرشوخ

العلاقات العامة: الأستاذ أحمد مختار الزاملي

الاشراف الفقهي واللغوي: القاضي المهندس أسامة منيمنة

الهيئة الإدارية لـ «منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» في لبنان:

الرئيس والمدير المسؤول: ع.ر.م. محمد فرشوخ
نائب الرئيس: د. نادر الغزال
أمين السر: الأستاذ بهيج مومنة
أمين الصندوق: الأستاذ باسم علي
المحاسب: الأستاذ زهير الجندي
مستشار: الأستاذ صلاح سلام
مستشار: النقيب د. غسان رعد
مستشار: د. خالد حسين

الاخراج والطباعة مطابع اللواء

يوزع هذا العدد مجانًا

صدر هذا العدد بدعم من إدارة جريدة اللواء،

وبمؤازرة علمية من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

للمساهمة في توسيع انتشار هذه المجلة، بنك عودة رقم الحساب:

٠١٠٦٢ ٠٠٢٤٦١ ٠٧٤ ٨٧٨

الافتتاحية

أ . صلاح سلام

وقفة مع الذات

بعد الذي شهدته السنوات الماضية والأيام الحالية من أحداث جسام، لا بد من وقفة مع الذات، يخلو فيها كل عاقل بنفسه، يصارحها ويبوح لها بما لا يجرؤ على التحدث به مع الناس، يستعرض مع نفسه الحقائق ما له وما عليه. من الرجل مع زوجته، إلى الحاكم مع رعيته.

سنقف بين يدي رب لا تخفى عليه خافية، حيث يواجه القاتل بالقتيل والكاذب بالصادق والمعتدي بالضحية، وسينظر كل ظالم إلى جواره ليبحث عمن أفتى له وأجاز، وشجعه في الدنيا على الاعتداء؟ والأذى واغتصاب الحقوق وترويع الآمنين لعله ينجده في هذا الموقف الخطير الأخطر، وإذ بسيده ومحرضه، يتصبب عرقاً ويتذكر قوله تعالى: ﴿*وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ*﴾ فلا يجرؤ على البوح بما اجترح من سيئات وأفتى بغير علم لعله ينجو من العذاب، وإذا برجاله يقولون: ﴿*رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا*﴾.

الوقفة مع الذات هي في الحقيقة وقفة عارية من الزينة والبهرجة والزيف والتباهي، وقفة أمام الله، الذي ﴿*يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور*﴾، هي الموقف الختامي الذي لا موقف بعده، ولا عودة ولا استرجاع.

الرجوع عن الخطأ فضيلة وفي استدراك الأخطاء والقرارات الجائرة شجاعة، ومهما كلف من تراجع في الدنيا، فهو أربح من خسارة الآخرة ومن الفضيحة الكبرى يوم العرض الأكبر. و«التائب من الذنب كمن لا ذنب له». يقول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم). يومها لن تنفع الشيخ شيبته ولا العالم لحيته ولا القائد سطوته ولا الثري ثروته ولا المخادع خدعته، يومها: ﴿*لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم*﴾.

ما آل الظلم يوماً إلا إلى لحظة مريرة ينقلب فيه الظلم على صاحبه، ولم تستقم الأيام إلا لمن عدل، وما أوصلت الطائفية والمذهبية إلا إلى أبواب المظالم، تؤكل فيها الحقوق، وتشرّع فيها الاعتداءات، وتسفك من أجلها الدماء، وتنتهك فيها الحرمات. والمؤسف أنها جولة ثم تدور الدوائر وتنقلب الأدوار.

الوقفة مع الذات، هي في الحقيقة وقفة مع الآخر، ووقفة مع الأمة، ووقفة مع الوطن، ووقفة مع الحق، ووقفة مع الله، والكل منسجم. فهل من يقف ليتعظ ويستدرك وينجو وينجي؟.

كلمة العدد

«الإعجاز» تستهل عامها الخامس

بصدور هذا العدد من «الإعجاز» تدخل المجلة عامها الخامس بعزيمة وثبات، وهما منحة الله تعالى وفضل منه، فقد قصدنا العمل بإمكانات متواضعة، ورجونا أن يكون خالصاً لوجه الله الكريم، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله.

ومع صدور كل عدد، تضع أسرة التحرير الأيدي على القلوب، راجية من الله أن يكون العدد على المستوى المطلوب، وعلى قدر اهتمام القراء، وما أن تتوالى اتصالات النقد والثناء حتى يتوقد الحماس في نفوس المحررين والعاملين لتحضير العدد التالي.

أجمل ما في هذا العمل هو تفاعل القراء الجادين مع كل عدد، فالكمال لله وحده ونحنٍ عصبةٍ من المتطوعين، نحتاج إلى النقد البناء لكي نطور العمل ونحسنه، ويزيدنا شغفاً وإقداماً تلك الرسائل التي تردنا من حيث لا نحتسب، من ربة منزل كتبت رسالتها بعد صلاة الفجر تقول: «الحمد لله أني وجدت مجلة (بتعبي الراس) على حد تعبيرها، أو من سيدة مسنّة تسمعنا عن ظهر قلب بعض المقاطع من مقالات تركت في نفسها أثرا، أو من مدير عام متمرس، يثني وينتقدٍ ويتمنى ويقترح، أو من رجل أعمال بارز، لم يخطر في بالنا أن مثله سيخصص وقتاً لتصفح المجلة والاتعاظ منها والسؤال عن قصدنا من بعض ما ورد فيها.

أخبرنا أحد المستشارين في مجال إدارة الأعمال يوماً، أن العمل الذي يصمد ويستمر لأكثر من ثلاث سنوات هو عمل يصنف في خانة النجاح والدوام، ولكننا ونحن على عتبة السنة الخامسة نشعر بمزيد من القلق، فنحن نخشى البقاء في مرحلة الجهد الشخصي والكفاءات الفردية والنزر اليسير من التمويل القلق المتقطع، ونرغب بتحويل الأمرٍ برمتهٍ إلى عملٍ مؤسساتي، لا يتوقف إذا فارقنا عضو ولا يتأثر بوفاة آخر، ولا يعيش قلقاً دائماً بحثاً عن الدعم المادي والإعلان التجاري. والناس ميالون إلى الظن أن مثل هذا العمل ما كان ليقوم لولا الدعم المادي من إحدى الدول وهذا أمر لم يحصل ولم يعرض علينا من قبل، فالتزامنا بالإعجاز العلمي حتم علينا أن لا نضع صورة لأحد ولا نكتب مدحاً بحق أحد، بحيث وضعنا العلاقات الشخصية والميول السياسية خارج منتدى الإعجاز فاسترحنا وأرحنا.

الأمل معقود على الدوام، أن الله تعالى لن يتخلى عن هذا المولود البريء، ما سلمت النوايا وصلح العمل، وانه لابد أن يقيد لنا من يشاركنا في الانتاج والدعم وإرساء القواعد. وكل عام والإعجاز وقراؤها بخير.

رئيس التحرير

الهدي النبوي في تسويك اللسان ... سبق علمي

د. طارق عبده إسماعيل*

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿*وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ*﴾ [الحشر: ٧]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم. سوف نتناول في هذه المقالة إحدى المعجزات النبوية الشريفة في مجال طب الأسنان. فقد حدثنا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام عن طريقة متطورة لوقاية الأسنان من التسوس والنخر. وبنفس الوقت وقاية أجزاء الفم مثل اللسان من الالتهابات التي قد تصيبه نتيجة تراكم البكتريا. فقد رُوي عن أبي بردة، عن أبيه قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته يستن بسواك بيده، يقول: أع أع، والسواك في فيه كأنه يتهوع) [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي بردة أيضاً، عن أبي موسى قال: (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وطرف السواك على لسانه) [رواه مسلم].

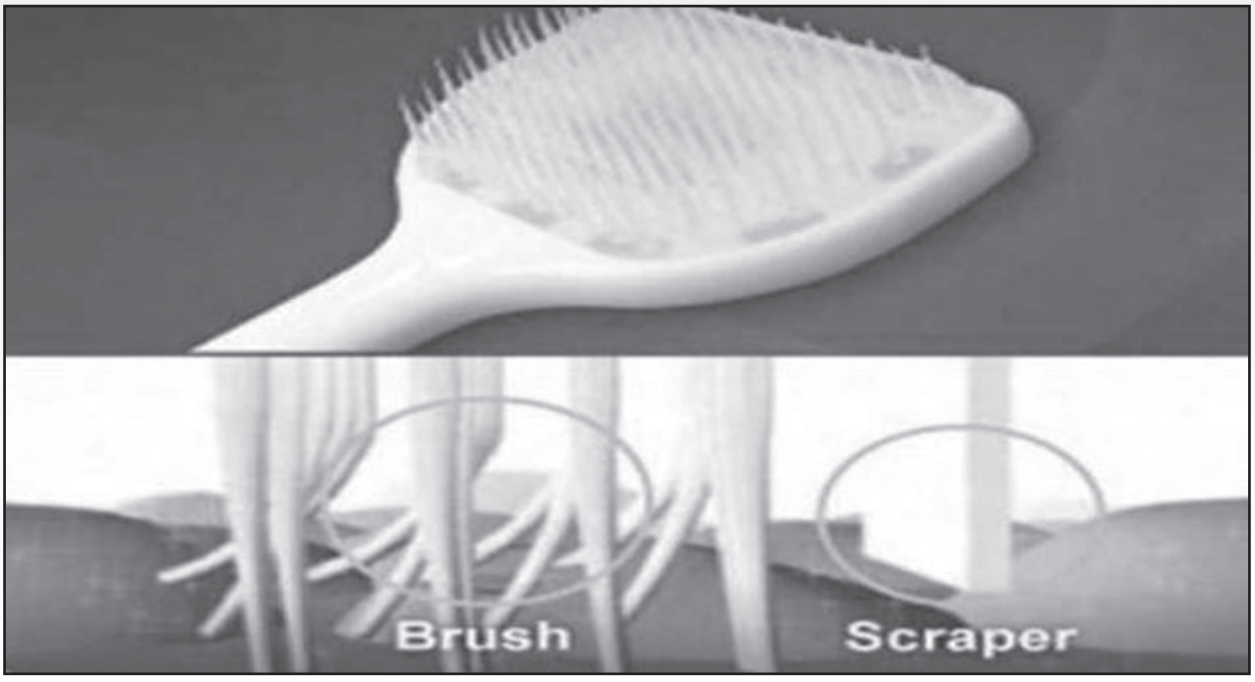

صورة لفرشاة أسنان متخصصة لتنظيف اللسان

شرح الحديث:

ورد في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: (جعل رسول الله السواك على طرف لسانه كما عند مسلم والمراد طرفه الداخل كما عند أحمد يستن إلى فوق ولهذا قال هنا كأنه يتهوع والتهوع التقيؤ أي له صوت كصوت المتقيّئ على سبيل المبالغة ويستفاد منه مشروعية السواك على اللسان طولا أما الأسنان فالأحبّ فيها أن تكون عرضاً) [فتح الباري ج١ ص٣٥٦]. ومن هنا ظهر معنى قوله على طرف لسانه انه الطرف الداخلي لأن هذا الجزء إن وضعت عليه شيء دفعك إلى الميل للتقيؤ وهذا ما حدث مع رسول الله في قوله (أع أع).

كان النبي ينظف لسانه كما يسوّك أسنانه

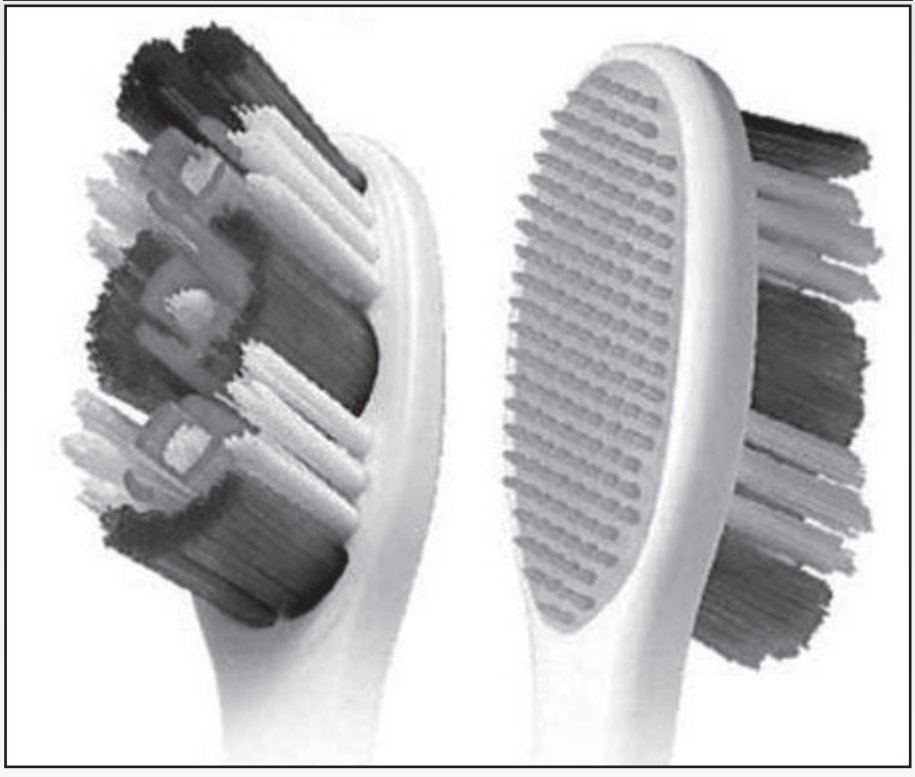

صورة لفرشات أسنان مخصص القسم الخلفي منها لتنظيف اللسان

التفسير العلمي للحديث

يلاحظ بالعين المجردة أن اللسان بكامل سطحه العلوي به شقوق واضحة غائرة ولا شك أن هذه الشقوق يلتصق بها الكثير من بقايا فتات الطعام والشراب الدقيقة مما ينتج عنه بعد ذلك تعفنها وخروج رائحة كريهة. وقد ثبت علمياً أن اللسان أخصب مكان في الفم لنمو شتى أنواع البكتريا الضارة من جراء هذا التعفن لاسيما المنطقة الخلفية (قاعدة اللسان) لأن المنطقة الأماميه من اللسان تحتكّ دائماً بالأسنان وسقف الفم مما يعمل على تنظيفها من هذه البكتريا بصفة دائمة. كما أن الحليمات الذوقية التي تغلفها شقوقها أقل غوراً وأقل تجعداً بعكس المنطقة الخلفية (قاعدة اللسان) التي تفتقد لهذا وشقوقها أكثر غوراً

وصل المسواك إلى الجزء الخلفي من لسانه

وتجعداً ولا شك أن هذه البكتريا الضارة تندفع إلى داخل جسم الإنسان مع أي وجبة قادمة وقد تسبب هذه البكتريا بعض التقرحات للسان.

ماذا يقول الطب الحديث؟

There are various methods by which

عدم إزالة البكتيريا عن اللسان يسبب التهابات الفم واللثة

you can clean the posterior aspect of your tongue but each of them has the same goal, to scrape away the bacteria and debris that .has accumulated on the tongue´s surface When cleaning your tongue, no matter which method of tongue cleaning you choose to use, you should try to clean as far back on your tongue as possible. Don´t be surprised if you find you have an active gag reflex. Gagging is a natural reaction, but with time this reflex should decrease

وهذا يعني: «هناك طرق متعددة يمكن من خلالها تنظيف المنطقة الخلفية للسان لكن كل منها لها نفس الهدف، هو قشط البكتيريا والأوساخ التي تجمعت على سطح اللسان. عندما تنظف لسانك، ليست المشكلة في الطريقة التي اخترت استعمالها ولكن يجب عليك أن تحاول تنظيف المنطقة الخلفية البعيدة في لسانك. لا تتفاجأ إذا وجدت شعوراً بالغثيان (رغبة في التقيؤ)، إن شعورك بالغثيان هو رد فعل طبيعي سوف يزول مع الوقت».

إهمال تنظيف اللسان يسبب العفن والرائحة الكريهة

وجه الإعجاز:

في الحديث لقد سبق الحديث الشريف كل العلماء بالتأكيد على تنظيف الفم جيداً لدرجة الإحساس بالتقيؤ، وأن هذه الطريقة ضرورية لإزالة أي أثر للبكتريا الضارة من الفم والتي تسبب مختلف أنواع الالتهابات للثة والفم. لقد أثبت العلم الحديث فعالية السواك في وقاية الأسنان من النخر والتسوس، وهذا ما أكده الحديث النبوي من أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على السواك.

وقفة تأمل

وهنا نقف ونتأمل ونتساءل: من علّم النبي صلى الله عليه وسلم أن ينظّف لسانه بهذا الأسلوب المتطور والذي يشابه أحد الأساليب العلمية؟ إنه رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض وأرسله رحمة للعالمين. ﴿*قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ*﴾.

---

* باحث في الطب النبوي والأعشاب. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

- المراجع العلمية نورد فيما يلي أهم المواقع العلمية المتخصصة والتي تحدثت عن هذا الموضوع:

http://www.goaskalice.columbia.edu/1509.html
http://www.animated-teeth.com/bad_breath/t4z.tongue_cleaning.htm
http://www.cdls.org.uk/bac - ground/october2002/back4.htm
http://www.sakool.com/Faq.htm
http://www.ncbi.nlm.nih.gov/entrez/query.fcgi?cmd=Retrieve&db=PubMed&list_uids=2134924&dopt=Abstract
http://www.blackwellpublishing.com/abstract.asp?aid=6&iid=3&ref=16015029-&vid=1
http://www.dupagehealth.org/health_ed/shark.html
http://www.uglx.org/badbreath
http://bmj.bmjjournals.com/cgi/content/full/308652/6929/
http://www.animated-teeth.com/bad_breath/t4z_tongue_cleaning.htm
http://www.uglx.org/badbreath
http://www.animated-teeth.com/bad_breath/t4z_tongue_cleaning.htm

مسواك عود الآراك وتأثيره على صحة الفم

د. مشاري بن فرج العتيبي*

صح عن أهل العلم أنه قد ذكر في السواك زيادة من مائة حديث صحيح. فالنبي صلى الله عليه وسلم حث على السواك والمواظبة على استخدامه حيث قال: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة». ولقد أثبتت الأبحاث وجود ما لا يقل عن ١٨٢ نبتة أو شجرة مختلفة الفصائل والتي تستخدم أعوادها لتحضير المسواك، من هذه الأشجار يوجد ما لا يقل عن ١٥٨ نبتة في قارة أفريقيا وحدها . وأشهر هذه الأشجار على الاطلاق وأكثرها شيوعًا واستخدامًا هي شجرة الأراك. وفي البحث العلمي الذي أجريته وبعد مقارنة تأثير مسواك أعواد الأراك مع فرشاة الأسنان فيما يخص صحة اللثة والقدرة على إزالة طبقات اللويحة السنية المتواجدة في الشق اللثوي وعلى أسطح الأسنان فقد اظهرت النتائج التالية:

* وجد أن انخفاض معدلات ومستويات تواجد اللويحة السنية (Dental plaque)، والتي كانت في مرحلة استخدام المسواك كانت أعلى مما وجد خلال مرحلة فرشاة الاسنان.

* كذلك فقد وجد أن انخفاض معدلات ومستويات المقاييس الخاصة بصحة اللثة (Gingival inflam - tions)، والتي كانت في مرحلة استعمال المسواك كانت تفوق ما وجد خلال مرحلة استعمال فرشاة الأسنان. ولقد كان ذلك الانخفاض واضحًا وبفارق كبير لصالح المسواك.

ولقد قمنا ايضًا بدراسة تأثير استخدام مسواك عود الأراك وفرشاة الأسنان على عدد من انواع البكتيريا الفموية المتواجده ضمن اللويحة اللثوية بالشق اللثوي. فباستخدام تقنية الحامض النووي الوراثي درسنا مدى تأثير استخدام مسواك عود الأراك على مستويات البكتيريا الفموية وللمرة الاولى على مستوى العالم . فلقد لوحظ أنه بعد نهاية مرحلة استخدام المسواك كان المشاركين يحملون عدداً أقل من البكتيريا المسماة (- A

tinomycetemcomitan Actinobacillus) واختصارها (A.a) اذا ما قورن بالعدد قبل بداية هذه المرحلة. ووجد أن الفارق هنا يعتبر فارقًا احصائيًا حقيقيًا ($P<0.05$). بينما كان لا يوجد اي فارق حقيقي في العدد بين انواع البكتيريا الـ ١١ المتبقية في كلا المرحلتين. وهذه النتيجة تؤكد أن استخدام اعواد المسواك تقلل من تواجد هذا النوع من البكتيريا الفموية (A.a) والذي يعتبر من اشرس انواع الميكروبات والسبب الرئيسي لعدد كبير من امراض اللثة والعظم المحيط بها.

تأثير خلاصة المسواك:

لقد أثبتت النتائج أن لخلاصة مسواك عود الأراك تأثيرًا قاتلاً على البكتيريا الفموية المسماة (Actinomycetemcomitan Actinobacillus) واختصارها (A.a) .

وهذه المعلومة تسجل للمرة الاولى على مستوى المعرفة الطبية وهذا يعتبر حقًا نطالب بحفظه في المحافل العالمية. ففي الصحن المحتوي على تلك البكتيريا، نجد ان نمو هذه البكتيريا يتوقف كلياً اذا أصبح على بعد ١٠ملم من قطعة عود الأراك المغروسة في منتصف الوسط الحاوي للبكتيريا النامية. وهذا يعني أن نمو هذه البكتيريا قد تأثر بوجود عود الأراك الذي أبطل نموها اواستطاع ان يعطل عملية النمو التي تقوم بها هذه البكتيريا في الظروف الملائمة لذلك. بهذا أثبتت التجارب المخبرية قدرة خلاصة مسواك عود الأراك على حماية الخلايا الانسانية المناعية (Monocytes) من الموت فيما لو تم تعريضها الى سموم أشرس أنواع البكتيريا الفموية (A.a). ففي هذه التجربة تم تعريض الخلايا البشرية المناعية إلى سموم هذه البكتيريا مرة بدون اضافة أي مادة أخرى ومرة أخرى في وجود خلاصة مسواك عود الأراك (٨٠٪) لمدة ٦٠ دقيقة. ولقد تم قراءة مؤاثرات السموم عن طريق دراسة افرازات انزيم اللاكتيت ديهايدروجينيز (LDH–activity) الذي يفرز من الخلايا الانسانية الميتة. ومن هذه التجربة نلاحظ ان وجود عصارة مسواك عود الأراك كان لها تأثيراً قويًا جدًا في حماية الخلايا البشرية عند تعريضها لسموم البكتيريا من الموت المحقق الذي كان ظاهرًا من خلال التجربة حينما وضعت الخلايا مع السموم لوحدها وكان مصيرها الموت. وبهذا فاننا نرى انها تعمل كالجهاز المناعي وتعمل على تقوية قدرة هذه الخلايا على التغلب على السموم التي تعترضها وهذا يعتبر مفتاحًا جديدًا للعديد من أبواب البحث والتقصي لتبيان السبب الحقيقي وراء هذا التأثير.

فاقت نتائج إستخدام المسواك على فرشاة الأسنان صحياً

ان الدراسة التي بين ايدينا اظهرت بما لا شك فيه أن هناك مواد يتم افرازها من مسواك اعواد الأراك لها القدرة لتثبيط وايقاف نمو البكتيريا الفموية المسماة (Actinomycetemcomitan Actinobacilus). وبهذه الخاصية يكون لها القدرة على حماية الخلايا البشرية المناعية من الموت فيما لو تم الهجوم عليها من السموم القاتلة المفرزة من هذه البكتيريا. وعملية الحماية هذه تحتاج الى استمرار في البحث والتحري للوصول الى التفسير الحقيقي وراء هذه القدره العجيبة وهل التأثير كان على سموم البكتيريا ام انه كان لها تأثير في تغير محتويات الخلية الانسانية وزيادة مناعتها ضد خطر السموم. ولقد تم نشر هذه الابحاث ونتائجها في مجلات علمية طبية معروفة عالميًا وهي موجودة على محرك البحث الطبي العالمي المعروف(Pub Med).

أعطى المسواك مفاعيل مذهلة ضد سموم قاتلة لبعض بكتيريا الفم

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.eajaz.org

الوجه العلمي لخبر شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم

ع.د. محمد فرشوخ

في مطلع العام ١٩٩٨ نشرت الصحف الطبية الأميركية، خبر تعاون بين فريقين من جراحي القلب الروس والأميركيين، حول قيام أطباء روس بعمليات قلب مفتوح عبر التخدير بواسطة التبريد بالثلج، وقامت الصحافية ساندي سميث بنقل التفاصيل عبر الانترنت في ٢٦ شباط ١٩٩٨ تحت عنوان:

Penn and Russian doctors explore a cool surgical procedure
BY SANDY SMITH

طريقة وقائية بوسائل بدائية:

تطوير طريقة تحضير مرضى القلب لعمليات القلب المفتوح بدون استعمال وسائل التخدير التقليدية، بل عبر تبريد جسم المريض بتغطيته بالثلج كلياً.

شرح الطريقة:

يشرح أطباء مركز نوفوسيبيرزك (Novosibirsk) السيبيري في روسيا، أن جراحة القلب تتطلب توقيفه كلياً عن العمل، مما يؤدي إلى انقطاع الدم والأوكسجين عن مختلف أعضاء الجسم فيصاب الأخير بأعطال دائمة ويمكن أن يؤدي إلى موت المريض. كما أن الدماغ لا يمكنه الصمود لأكثر من ٣ إلى ٥ دقائق بدون جريان الدم فيه.

ضرورة قطع جريان الدم عن القلب خلال العملية:

من الضروري عند قطع الدم عن القلب أن يستمر جريانه في سائر الأعضاء ، أو أن يجد الأطباء طريقة لتخفيض كمية الأوكسجين التي يحتاجها الجسم في الأوضاع الطبيعية.

أول عملية قلب في التاريخ مستوفية أهم الشروط الطبية المعتمدة.

إحتمالات الخطر بالطرق الحديثة:

في الغرب يستعمل الجراحون آلة (Heart–lung bypass machines)، تقطع الدم عن خط القلب–الرئة، وتوصله إلى بقية أعضاء الجسم ، لكن هذه الطريقة لا تضمن سلامة المريض من خطر تخثر

جرت العملية للنبي وهو طفل وجروح الأطفال أسرع التئاماً.

الدم (الجلطة)، ولا من الإلتهابات.

طريقة استعمال الثلج:

الطريقة التي يعتمدها المركز الروسي منذ أربع سنوات ولا يزال، فتركز على تبريد جسم المريض عبر تخفيض حرارته تدريجياً حتى يدخل في مرحلة «الإنعاش المعلقة» (Suspended animation) والتي تدعى تقنياً « الحرارة المتدنية تحت المعدل» (Hypothermia)، بحيث يغلف رأس المريض بخوذة ملئت جليداً ، وبتغليف كامل جسم المريض برداء مملوء ثلجاً قبيل العملية الجراحية.

خفض درجة الحرارة:

تنخفض حرارة جسم المريض من ٣٧ إلى ٢٣،٨ ° درجة مئوية وتتدنى حرارة الدماغ لتبلغ ما بين ١٥،٥ ° و ١٨،٣ ° درجة مئوية. ثم يعمد الأطباء إلى كشط الثلج عن جسم المريض وشق الصدر وإيقاف القلب عن العمل، ثم القيام بالجراحة اللازمة.

الوقت المتاح للعملية: تعطي هذه الطريقة فرصة للجراحين ليقوموا بكامل العملية خلال ساعة وثلاثين دقيقة حداً أقصى. ومن الطبيعي أن هذه الطريقة منخفضة التكاليف نسبة للطريقة المعتمدة في الغرب.

ليست هي التجربة الأولى في العالم:

كان أطباء من اليابان أول من اعتمد هذه الطريقة وبعدهم الإنكليز قبل ٥٠ سنة من اليوم لكنهم أهملوها واستبدلوها بالآلات الحديثة ، أما الاطباء الروس فقد أبقوا عليها وعملوا على تطويرها حتى أنهم يكفلون أنها لا تحدث ضرراً أو تلفاً لأي عضو من جسم المريض.

ما ورد في الأثر عن حادثة شق صدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

– روى الإمام أحمد عن أنس:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه وشق عن قلبه فاستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال هذه حظ الشيطان منك ، قال: **فغسله في طست من ذهب من ماء زمزم** ثم لأَمَه (لحمه) ثم أعاده في مكانه قال وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره أو مربيته) فقالوا إن محمد(ا)

الذهب معدن لا يتسبب بالتهابات.

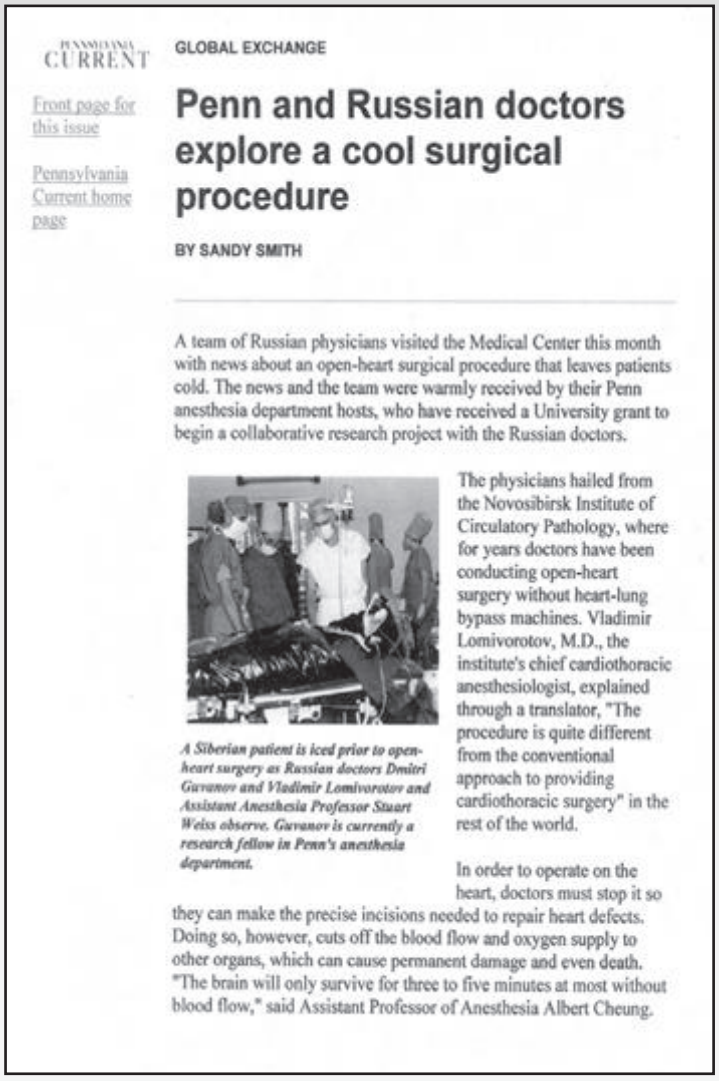

PENNSYLVANIA CURRENT

GLOBAL EXCHANGE

Front page for this issue

Pennsylvania Current home page

Penn and Russian doctors explore a cool surgical procedure

BY SANDY SMITH

A team of Russian physicians visited the Medical Center this month with news about an open-heart surgical procedure that leaves patients cold. The news and the team were warmly received by their Penn anesthesia department hosts, who have received a University grant to begin a collaborative research project with the Russian doctors.

A Siberian patient is iced prior to open-heart surgery as Russian doctors Dmitri Gurvanov and Vladimir Lomivorotov and Assistant Anesthesia Professor Stuart Weiss observe. Gurvanov is currently a research fellow in Penn's anesthesia department.

The physicians hailed from the Novosibirsk Institute of Circulatory Pathology, where for years doctors have been conducting open-heart surgery without heart-lung bypass machines. Vladimir Lomivorotov, M.D., the institute's chief cardiothoracic anesthesiologist, explained through a translator, "The procedure is quite different from the conventional approach to providing cardiothoracic surgery" in the rest of the world.

In order to operate on the heart, doctors must stop it so they can make the precise incisions needed to repair heart defects. Doing so, however, cuts off the blood flow and oxygen supply to other organs, which can cause permanent damage and even death. "The brain will only survive for three to five minutes at most without blood flow," said Assistant Professor of Anesthesia Albert Cheung.

قد قتل قال فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس: وكنت أرى أثر المخيط في صدره.

– في رواية ثانية لابن إسحق عن خالد بن معدان

عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له أخبرنا عن نفسك قال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينما أنا في بهم لنا **أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى إذا ألقياه رداه كما كان**، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بعشرة فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بمائة فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بألف فوزنتهم فقال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم.

يستعمل الجراحون المياه المعدنية لغسل القلب بعد العملية وزمزم أغنى المياه وأنقاها

ذكرت في خبر شق الصدر الشريف أربعة أمور طبية على الأقل:

١– إستعمال الثلج في العملية وفقاً لمعايير الأطباء الجراحين الروس، وتبريد القلب بالثلج هو لب القضية.

٢– إستعمال طست من ذهب لإبقاء الثلج نقياً وكأننا نتحدث عن الأوعية المعقمة التي تستعمل في العمليات الجراحية. ومن البديهي العلم بأن الذهب معدن ثمين لا يداخله صدأ ولا اهتراء، ولا يتسبب بالتهابات.

٣– غسل صدر النبي من الداخل وكذلك قلبه بماء زمزم:

•ثبت علمياً، أن ماء زمزم هي من المياه الفريدة في العالم الغنية بالأملاح المعدنية والخالية من الجراثيم.

•كأننا نتحدث عن المطهرات المعقمة التي تستعمل حالياً في العمليات الجراحية لغسل وتطهير المناطق الداخلية من جسم المريض والتي انكشفت أثناء الجراحة وتعرضت لخطر الإلتهابات جراء تلوثها بالدم أو غيره من السوائل والإفرازات.

• إذ يقوم الجراحون، خلال العمليات الجراحية الداخلية، بغسل الأعضاء الداخلية بالمياه المعدنية وذلك لتعويض «الإلكتروليت» (بوتاسيوم وكالسيوم وصوديوم) لمنع فقدانه عبر الأوعية الدقيقة، تجنباً لتخثر الدم وحفاظاً على إنقباض العضلات، وخاصة عضلة القلب وأهمية مادة البوتاسيوم لعملها، ومن المعروف أن ماء زمزم غنية بهذه المادة.

نفحات الإعجاز في هذا الخبر:

• هي أول عملية قلب مفتوح ناجحة ذكرت في التاريخ، وعمرها الآن ١٤٨٠ سنة تقريباً.

•تبين أن هذه العملية احترمت عدداً من المعايير الطبية.

•جرت العملية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو طفل، والمعروف طبياً أن الجروح في الأجسام اليافعة أسرع التئاماً من جروح أجسام الكبار في السن.

• خضع النبي صلى الله عليه وسلم للجراحة بشروط أهل الأرض وأجرت الملائكة العملية بقدرة رب السماء.

• يظهر هنا تطابق ما ورد عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وانسجامه مع ما هو معمول به في الجراحة والطبابة في أيامنا هذه.

مما يعزز صحة ما ورد في السيرة النبوية الشريفة، وهذه ليست مفارقة أو صدفة، بل رسالة ربانية إلى العصور المتأخرة بعد أن تطور الطب الجراحي، ليؤكد للناس رسالة الصدق النقية للرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام. واللبيب من الإشارة يفهم، فكيف إذا استجمعت كل هذه الإشارات والمعطيات. قال الله تعالى:

﴿***إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد***﴾،(سورة ق).

الهدي النبوي في العلاج بالقسط

د. محمد نزار الدقر*

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تعذبوا صبيانكم بالغمز وعليكم بالقسط) رواه البخاري وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قسطاً فتحكه بماء ثم تسعطه إياه) رواه أحمد وأصحاب السنن.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط) رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن خير ما تداويتم به السعوط)

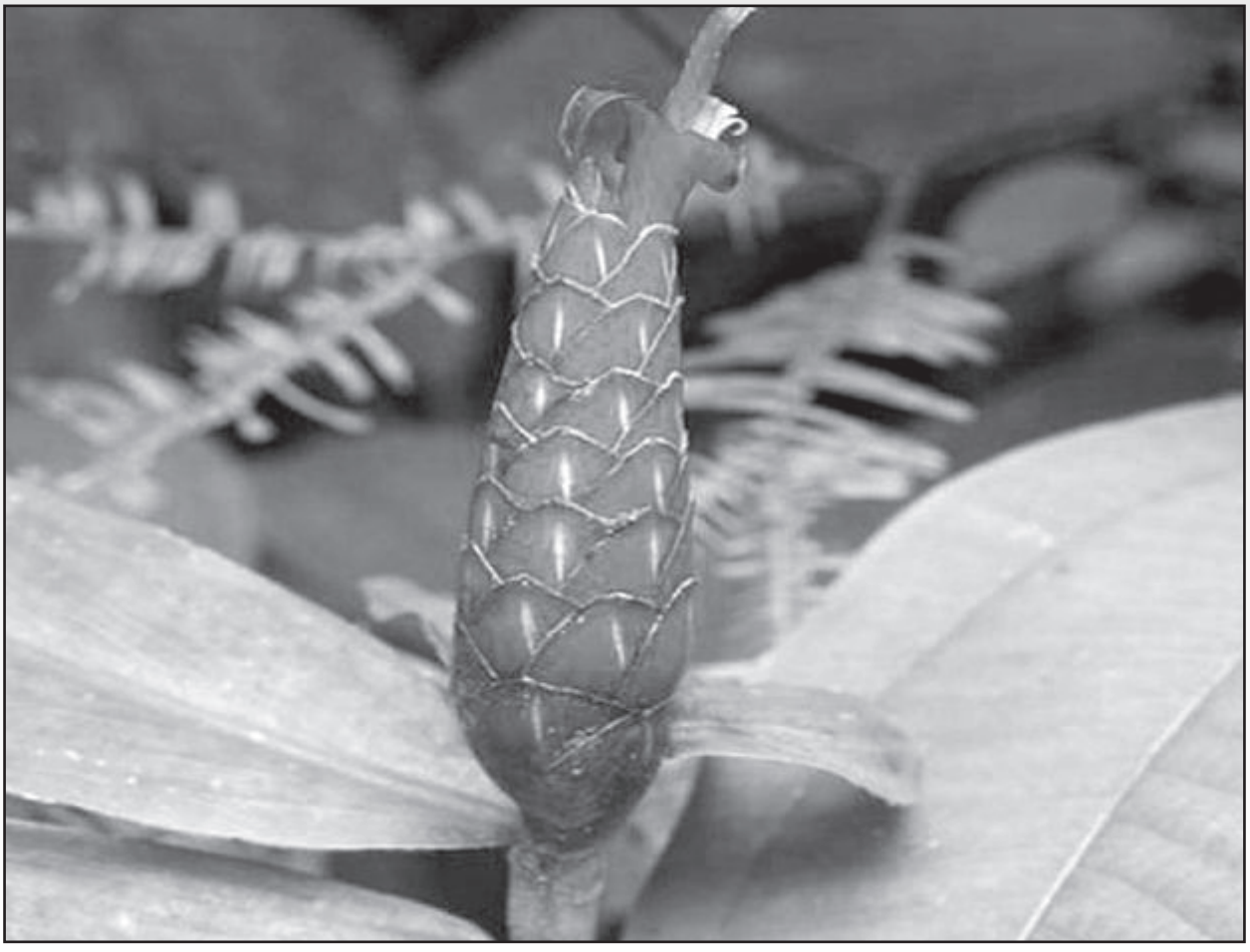

صورة لزهر نبات القسط الذي يستعمل جذره كدواء والمذكور في الاحاديث النبوية

وقد روى الشيخان عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة (رضي الله عنها) وعندها صبي يسيل منخريه فقال: ما هذا ؟ فقالت: إن العذرة. فقال: (ويلكن لا تقتلن أولادكن، أيما امرأة أصاب ولدها العذرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قسطاً هندياً فتلحكه ثم يسعط به) فأمرت عائشة فصنعت به فبرئ.

العذرة هي مرض «بنات الأذن»

وقد روى البخاري أن أم قيس بنت محصن الأسيدة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها قد أعلقت عليه من العذرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق؟ عليكن بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب) يريد الكست..

وفي رواية أخرى للبخاري عن أم قيس بنت محصن أنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم: « عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية: يستعط به من العذرة ويُلد به من ذات الجنب « .

قال ابن حجر في كتاب فتح الباري: والسعوط ما يجعل في الأنف مما يتداوي به وقوله: (استعط): أي استعمل السعوط، وهو أن يستلقي على ظهره وجعل ما بين كتفيه يرفعهما لينحدر رأسه ويقطر في أنفه ماء أو دهناً فيه دواء (ينطبق بلعومة الخلفي) لاستخراج ما فيه من الداء بالعطاس. والعذرة (بضم العين) وجع في الحلق يهيج من الدم ، وتسميها العامة بنات الأذن.

وهذا التفسير يوافق في الطب أمراض الحلق التي تترافق باحتقان دموي سواء أكان التهاب لوزات أو التهاب لهاة أم التهاب بلعوم. وكانت نساء المدينة وما يزال نساؤنا حتى اليوم يلجأن إلى معالجة العذرة بالأصابع أو غمز الحلق بها.

السعوط هو الاستنشاق أو التقطير في الأنف

والإعلاق في اللغة أيضاً الدغر وتعني غمز العذرة بالأصابع.

وقد يلجأن إلى إدخال فتيل من خرقة في أنف المريض فيطعن به البلعوم الأنفي فينفجر من الدم. ويقال عذرت المرأة الصبي إذا غمزت أو أعلقت حلقه من العذرة.

ومن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم[1] في هذا المجال أن نبه إلى وجوب تجنب الخطأ في بعض المعالجات الشعبية والتي لا تستند إلى أساس علمي فنهى النساء عن مثل هذه المعالجة القاسية والمؤذية أحياناً مقدماً لهن العلاج الأمثل في هذه الحالة وهو القسط. قوله (ويلد من ذات الجنب) يعني يسقاه في أحد شقي فمه وهو تنبيه إلى طريقة لسقي المريض دواء عندما لا يتمكن من الجلوس أو من تناوله بيده أو عندما يثير ذلك ألماً شديداً لديه، واللدود ما يسقي الإنسان في أحد شقي الفم، أخذ من لديدي الوادي وهما جانباه واللدود (بضم اللام) الفعل. فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير ما تداويتم به اللدود والسعوط والحجامة والمشي) رواه الترمذي.

وروى زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

ولقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة القسط مع الشب اليماني وزر الورد، وسقوط اللهاة هو ضخامتها المتأتية عن التهابها.

وقال الموفق البغدادي[2] في كتابه الطب من الكتاب والسنة (وذات الجنب قسمان: حقيقي وهو ورم حاد يعرض في الغشاء المستبطن للأعضاء، وغير حقيقي وهو ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات، إلا أن الوجع في هذا

القسم ممدود وفي الحقيقة ناخس).

وقال الدكتور عبد المعطي القلعجي[٣] معلقاً: تنطبق هذه العلامات على التهاب الغشاء المبطن للرئة Pleurisy الذي يترافق بألم حاد شديد يتفاقم مع التنفس العميق أو السعال بالإضافة إلى سعال جاف وأرتفاع حرارة وإنهاك القوى العامة وقد يتجمع في الغشاء سوائل في بعض الحالات.

ويرى الدكتور محمد ناظم النسيمي أن ذات الجنب الواردة في الأحاديث هي الألم الجنبي الناتج غالباً عن البرد أو الرثية (الروماتيزم).

وذكر الكحال ابن طرخان[٤] طريقة المعالجة بالقسط للألم الجنبي فقال: يدق القسط ناعماً ويخلط بالزيت المسخن دون غلي أو قلي ويدلك به مكان الألم ويلعق.

أما ابن القيم[٥] فقد أكد هذا المعنى بقوله: (والعلاج الموجود في الحديث عن آفة في المصدر تنجم عن ريح غليظة فإن القسط بالبحري إذا دق ناعماً وخلط بالزيت المسخن ودلك به مكان الريح المذكور أو لعق كان دواء موافقاً لذلك نافعاً له محللاً لمادته مذهباً لها، مقوياً للأعضاء الباطنية).

قوله صلى الله عليه وسلم:(فإن فيه سبعة أشفية) قال البخاري: قال الراوي: فسمعت الزهري يقول: بين لنا اثنتين ولم يبين لنا خمسة.

وقال ابن حجر: كذا وقع الاختصار في الحديث عن السبعة على اثنين، فإما أن يكون ذكر السبعة فاختصره الراوي أو اقتصر على الاثنين لوجودها حينئذ دون غيرها.

وقد ذكر الأطباء من منافع القسط أنه يدر الطمث والبول ويقتل ديدان الأمعاء ويدفع السم وحمى الربع والورد ويسخن المعدة ويحرك شهوة الجماع ويذهب الكلف طلاء.

القسط نبات معروف يتداوى به منذ آلاف السنين

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

قال الموفق البغدادي (وفي جمعه صلى الله عليه وسلم بين الحجامة والقسط سر لطيف وهو أنه إذا طلي به شرط الحجامة لم يتخلف في الجلد أثر المشاريط وهذا من غرائب الطب فإن هذه الآثار إذا نبتت في الجلد قد يتوهم من رآها أنها بهق أو برق والطباع تنفر من هذه الآثار فحيث علم ذلك مع الحجامة ما يؤمن من ذلك، والقسط قد جعله النبي صلى الله عليه وسلم أمثل ما يتداوى به لكثرة منافعه، ينفع الفالج ويحرك الباه وهو ترياق لسم الأفاعي، واشتمامه على الزكام يذهبه، ودهنه ينفع وجع الظهر).

قال ابن حجر: ويحتمل أن تكون السبعة أصول التداوي بها لأنها إما طلاءٌ أو شرابٌ أو تكميدٌ أو تقطيرٌ أو تبخيرٌ أو سعوطٌ أو لدود. فالطلاء يدخل ويجعل في عسل أو ماء وغيرها. وكذا التقطير والسعوط يسحق في زيت ويقطر في الأنف والدهن والتبخر واضح. وتحت كل واحدة من السبعة منافع لأدواء مختلفة ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلم.

وخلاصة ما كتبه شراح الحديث[٦] أن نبات القسط الموصوف في السنة، نبات يعيش في الهند وخاصة في كشمير وفي الصين وتستعمل قشور جذوره التي قد تكون بيضاء أو سوداء، وكان التجار العرب يجلبونها إلى الجزيرة العربية عن طريق البحر لذا سميت القسط البحري، كما كان يسمى بالقسط الهندي.

يعالج القسط أمراض الصدر والربو والسعال والزكام

وقد يدعى الأبيض بالقسط البحري والأسود بالهندي كما ورد في السنة

باسم العود الهندي كمترادفات، إلا أنه من غير شك غير العود الهندي الذي يتخذ في البخور وله نفس الاسم مع أنهما نباتان مختلفان.

وقال البخاري تحت باب السعوط بالقسط الهندي والبحري وهو الكست (بالقاف والكاف) مثل كافور وقافور وكشت وقشطت.

قال ابن القيم: القسط نوعان: أبيض يقال له البحري وأسود هو الهندي وهو أشدهما حرارة والأبيض ألينهما ومنافعهما كثيرة: ينشفان البلغم قاطعان للزكام، وإذا شربا نفعا من ضعف الكبد والمعدة وقطعاً وجع الجنب ونفعاً من السموم وإذا طلي الوجه بمعجونه مع الماء والعسل قلع الكلف.

أما الدكتور أحمد الرشيدي فقد ذكر أن للقسط Costus نحواً من ١٥ صنفاً.

وذكر أن ابن سينا نقل عن ديسقوريدس بأن القسط ثلاثة أنواع: صنف أبيض خفيف عطري هو القسط العربي أو البحري، وصنف أسود خفيف غليظ قليل العطرية هو الهندي، وصنف ثالث ثقيل يشبه خشب البقس، رائحته ساطعة هو القسط الشامي.

وينقل عن الدكتور ميره قوله أننا إذا جرياً على كلام المؤلفين نسبنا الجذر الذي يسمى عندنا الآن بالقسط العربي للقسط الجميل وهو أبيض فطري مائي عذب الطعم يقرب قليلاً لرائحة الزنجبيل، وهذا يوافق أيضاً ما يسمى بالقسط الحلو C.Duleis.

القسط يدر الطمث والبول ويقتل ديدان الأمعاء ويدفع السم

صورة لجذر القسط الهندي الذي يستعمل كدواء منذ آلاف السنين

القسط يسخن المعدة ويحرك شهوة الجماع

مكانة القسط Costus في الطب الحديث:

ذكرت مجلة التايم في صفحتها العلمية (١٩٩٩) أن القسط نبات ينمو بشكل عشوائي بدون زراعة في منطقة الهيمالايا الحاوية على قمة أفرست الأعلى ارتفاعاً في العالم، ويعتبر القسط أهم

ركائز الطب التيبتي التقليدي، وقد كان الكهنة هناك لا يكشفون عن طبهم هذا إلا لأمثالهم ليبقى سراً بينهم إلى أن جاء زعيمهم الأخير دالاي لاما فأسس كلية الطب التيبتي لتعليم أي كان وذلك في منطقة Dharamsala على الحدود الهندية للتيبت ليحافظ على ذلك الطب من الإندثار.

وبدأ الكهنة في التيبت بحفظ ذلك الطب على شكل خلطات مرقمة لشركة بادما Padma السويسرية ومنها الخلطة رقم ٢٨ لإذابة جلطة أوعية الساق وفيها خلاصات من نبات القسط، إذ ليس في جعبة الطب الحديث دواء ناجع لها سوى الطلب إلى المريض عدم تحريك ساقه لأسابيع حتى تذوب تلك السدادة ببطء وحتى لا تنطلق إلى الدورة الدموي فتحدث خثرة في مكان آخر.

ويذكر معجم أسماء النبات أن القسط على شكلين:

قسط العود الهندي والقسط المر البحري من عائلة الزنجبيليات.

وله أنواع كثيرة عدد منها كتاب المرجع المفهرس لأصل السلالات النباتية:

القسط العربي:

ويستعمل في أوربا لأمراض الكبد.

والقسط المهدب:

المنتشر في فنزويلا لمعالجة مرض الزهري، والقسط الأسطواني في أمريكا الوسطى المستعمل أيضاً لمعالجة بعض الأمراض التناسلية كما هو مطهر للدم. وقسط الزهاد في البارغوري من أجل الإخصاب، والقسط الحريري في جزر كارولين في المحيط الهادي لمعالجة الدمامل والقشعريرات، والقسط النوعي في أوربا وجزر هاواي والهند وجاوة والملايو من أجل علاج الثعلبة والإمساك الزمن والربو والتهاب القصبات وسرطان الفم والكوليرا والسعال والاستسقاء والزحار والحميات والرمال والجذام والتهاب العين وعضة الأفعى وغيرها.

والقسط الشوكي في الدومينيكان بأريكالدنسون طارد للريح ومدر للبول ولمعالجة الاحتقان والروماتيزم..

والقسط اللولبي في البرازيل للأورام.

وقد ذكر المرشد إلى المصادر العالمية للنباتات النافعة[٧] أن للقسط أنواعاً كثيرة، وأكد على المنافع الطبية لثلاثة أنواع:

القسط الجميل (Costus Speciosus)

وهو المسمى أيضاً بالقسط العربي C.Arabicus وهو ينتشر تلقائياً في جنوب شرقي آسيا من جبال هيميالايا وحتى سيلان وفي الهند الصينية والفلبين وتايوان. ويزرع في الهند وأندونوسيا وتؤكل سوقه الحاوية على ٢٤٪ من تركيبها على النشاء. ويستعمل علاجياً في آفات الصدر والسعال والربو.

القسط يذهب الكلف بالطلاء.

القسط الأفريقي C.Afrri

ويسميه الأنكليز Ginger lily وهو منتشر في أفريقيا الاستوائية تستخدم جذوره لتحضير عجينة لصنع الورق. أم طبياً فيستعمل مسحوق سوقه لمعالجة السعال. أما الصبغة المحضرة من جذوره فتدخل في عداد تركيبة دوائية لمعالجة داء النوم.

وتطبق أوراقه المسلوقة موضعياً لمعالجة الرثية ، أما الجذور المسلوقة فتفيد موضعياً لشفاء التقرحات الجلدية.

القسط المويو C.Villiosissimus

ومن أسمائه C.Spetimus وينتشر في كولومبيا وأمريكا الأستوائية وخاصة في البيرو وغويانا ويستعمل طبياً لعلاج النزلات الشعبية وخاصة المعوية منها وفي

حمى التتفوس.

وفي كتاب النباتات النافعة في غرب أفريقيا أشار J.Daliziel فقط إلى القسط الأفريقي وأكد فائدته كدواء للسعال حيث يؤخذ مغلي سوقه أو مدقوق ثمراته أو تعلك سوقه طازجة وقد يستعمل مغلي جذوره لنفس الغرض. كما تطبق أوراقه المسلوقة كمادة محمرة لمعالجة الآلام الرثوية. ويشير إلى ما يعتقد سكان سيراليون وساحل الذهب وغيرهم حول القدسية لهذه المادة العلاجية عندهم.

ويذكر قاموس وبستر[٨] Webster زيت القس Costus Oil وأن هذا الزيت أصفر فاتح اللون يستخرج من الجذور العطرية للقسط وهو عشب ينمو في كشمير (القريبة من التيبت) ويستعمل في حماية الفراء وصناعة العطور.

ويقسم كتاب أزهار العالم[٩] القسطيات إلى ٤ فروع و٢٠٠ نوع وهي نباتات إستوائية وحيدة الفلقة تشابه عائلة الزنجبيليات ولكن ينقص أوراقها الرائحة العطرية لتلك العائلة.

والقسط هو الفرع الأكبر من القسطيات ويحوي مائة وخمسون نوعاً. أشهر أنواعه القسط الناري البرازيلي ذي الأزهار الصفراء البرتقالية على جذوع ورقية، وهذه الأوراق مستطيلة ومستدفئة ومرتبة بشكل لولبي، وتحتاج زراعتها لمناخ حار وتربة غنية وسقاية جيدة وحماية من التعرض المباشر لأشعة الشمس والقسط العجيب موجود من شرق أفريقيا إلى غربها حيث يشكل أحزمة من الورود ملتصقة بالتربة وبأوراق ثخينة تجلس في وسطها أزهار صفراء أو برتقالية لا ساق لها.

وأهم أنواعها القسط العجيب وهو نبات الأماكن الصخرية الرعوية المغطاة بالأشجار المتناثرة ويمتد انتشاره من السنغال وعلى طول ساحل إفريقيا الغربي إلى شرق إفريقيا الأستوائية وأنغولا ويتألف من حزام وردي بأربعة ٦ أوراق مستديرة وممتلة شيئاً ما.

غالباً ما تتلون بالأحمر الأرجواني، حوافها مشعرة وممتدة باسترخاء على التربة. وتظهر الأزهار بدون ساق بلون برتقالي ناصع من تاج الحزام الوردي وبزمن واحد مع الأوراق ثم يتبع ذلك ظهور الثمار ذات المحفظة الغشائية، إلا أن أحزمة الورد في القسط العجيب تختلف عن بقية الأنواع.

ويرى الدكتور ظافر العطار أن القسط الجميل والقسط النوعي شيء واحد لأن الاسم اللاتيني لهما واحد.

وختاماً، وحيث لم نجد أبحاثاً حديثة تكشف أسرار هذه المادة العلاجية النبوية التي دعانا إلى التداوي بها من لا ينطق عن الهوى وأنها من أمثل الأدوية وتحدثنا عن جواهر فعالة مدروسة فيها فإننا نحث همم الباحثين من علمائنا وأطبائنا لدراسة هذه النبتة ومعرفة خواصها الدوائية واستطباباتها السريرة في مختلف الأمراض.

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

[١]عن كتاب الطب النبوي والعلم الحديث للدكتور نظمي النسيمي

[٢]عن تحقيقه لكتاب: الطب من الكتاب والسنة لكاتب موفق البغدادي

[٣]عن تحقيقه لكتاب البغدادي: المصدر السابق

[٤]عن كتاب: الأحكام النبوية في الصناعة الطبية

[٥]عن كتاب: الطب النبوي

[٦]عن كتاب الدكتور النسيمي في كتاب: الطب النبوي والعلم الحديث

[٧]صدر بالروسية في موسكو ألفه العالمان فول ومالييفا ١٩٥٢

[٨]القاموس الدول لـ webster ط٣ ١٩٨١

[٩]المؤلفه فرنسيس بري perriأنظر المراجع
http://en.wikipedia.org/wiki/Costus

الإعجاز النبوي في تدابير الوقاية الصحية

د. رجاء محمود مليباني*

قال الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم): «**اتقوا اللاعنين**» **قالوا : «وما اللاعنان يا رسول الله؟»** قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم**». (صحيح البخاري وقال عليه الصلاة والسلام): «**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري،ثم يغتسل فيه**» (صحيح البخاري. وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أنه نهى أن يبال في الماء الراكد (صحيح البخاري ،كما قال عليه الصلاة والسلام): «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده حتى يغسلها ثلاثًا؛ فإنه لا يدري أين باتت يده** "(صحيح البخاري. ثم قوله عليه الصلاة والسلام): «**إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه، ولا يتمسح بيمينه**» متفق عليه(...).

إذا نظرنا بعين مجهرية أو بعين ميكروبيولوجية إلى الفوائد الجمة التي نجنيها، وتعود علينا باتباعنا التعاليم السابقة، فإننا نجد الحكمة من وراء هذه الأحاديث؛ فقد أثبت العلم أسرار هذه التعاليم النبوية من خلال الاكتشافات العلمية التي أثبتت العلاقة بين الأحاديث الشريفة المذكورة وبين العديد من الميكروبات المرضة؛ فنحن نعلم الآن أن الكتلة البرازية للإنسان السليم والمريض تحتوي على العديد من الميكروبات المختلفة، وبأعداد هائلة قد يؤدي بعضها إلى أمراض متعددة عند مخالفة تعاليم نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن ضمن هذه الميكروبات ملايين من البكتريا المختلفة والفيروسات والطفيليات الأولية والفطريات، منها المرض ومنها ما يسبب المرض تحت ظروف معينة.

أما بكتيريا الإشريكية القولونية الموجودة في الأمعاء و البراز قد تحتوي أيضًا على الديدان المرضة والأطوار المختلفة لها. ومن البديهي أن العديد من الميكروبات المرضة وغير المرضة تخرج مع البراز الذي قد يؤدي إلى تلوث البيئة المحيطة والغذاء والماء، خاصة وأن الكتلة البرازية هي بؤرة للميكروبات، كما أن تلوث الأيدي ببعض من هذا البراز المحمل بالميكروبات المرضة التي لا ترى بالعين المجردة قد ينقل العدوى من شخص لآخر؛ ويتفشى المرض من خلال ذلك. ويكفي أن نشير هنا إلى بعض الأمراض الخطرة التي تنتقل عن طريق ابتلاع طعام أو ماء ملوث بالبراز (faecal oral rout)، فعلى سبيل المثال لا الحصر "حمى التيفود" و"داء الكوليرا" و "الديزينتاريا"،و "التهاب الكبد الوبائي"(A)، و"شلل الأطفال"، وما يعرف بالنزلات المعوية التي تظهر على هيئة إسهال حاد وقيء.

وإذا تحدثنا عن ميكروب واحد من الميكروبات السابقة نذكر بكتريا "سالمونيللا التيفود" Salmonella typhi التي تسبب "حمى التيفود" typhoid fever أو ما يعرف بـ"الحمى المعوية" Enteric fever ؛ حيث تتم العدوى عند ابتلاع طعام أو شراب ملوث بالبكتري. وعادة ما تكون الجرعة المعدية infectious dose في عدد من البكتريا الذي يسبب أو يحدث المرض كبيرة نظرًا لحساسية "سالمونيللا التيفود"، وقد يحدث المرض بعد(9) أيام؛ أي إن فترة الحضانة تطول أو تقصر حسب عدد البكتريا المبتلعة، إضافة إلى عوامل أخرى،مثل: سلالة الـ"سالمونيللا المعدية" ومناعة الإنسان المصاب وحالته الصحية العامة. وعمومًا فإن فترة الحضانة تتراوح ما بين(5) أيام قد تطول إلى (21) يومًا؛ وبعد ابتلاع هذا العدد من هذه البكتريا مع الطعام الملوث بها فإنها تمر على المعدة حتى تصل إلى الأمعاء الدقيقة حيث تلتصق بخلايا الأمعاء الطلائية،ثم تخترق الغشاء المبطن للأمعاء حيث تبتلع بواسطة الخلايا البالعة

لعن البراز في الطرقات لعن التبول في الماء الراكد

التي لا تتمكن عادة من قتل البكتريا بل تتمكن هذه البكتريا من التكاثر بداخلها، وتعتبر هذه الخاصية من أهم العوامل الإمراضية لـ"سالمونيللا التيفود"، وبعد تمكّن البكتريا من الخلايا البالعة فإنها تصل من خلال الغدد الليمفاوية إلى مجرى الدم مسببة "بكتيريميا "(سيران البكتريا في الدم)،ومن ثم تنتشر إلى الكبد والحوصلة المرارية والطحال، والكلى والنخاع العظمي ، وخلال هذه المرحلة يحدث ارتفاع في درجة الحرارة،وتظهر أعراض حمى التيفود،مثل: الصداع والشعور بالخمول مع كحة خفيفة بعض الأحيان، وأرق وألم في البطن وإسهال، و أحيانًا إمساك وغالبًا ما يظهر طفح جلدي على شكل بقع صغيرة وردية اللون rose spot على البطن.

وما يهمنا معرفته خلال هذه المراحل أن بكتريا "سالمونيللا التيفود" تخرج مع البراز بأعداد كبيرة جدًا،كما تخرج أيضًا مع البول. ومن المعروف أن هناك نسبة من المرضى تظل تحمل هذه البكتريا بعد الشفاء لسنوات طوال chronic carriers؛ حيث تبقى موجودة في موضعين: الأول في الحويصلة المرارية وهو الغالب ؛ وبهذا تسري البكتريا من الحويصلة المرارية إلى الأمعاء ومن ثم تخرج مع البراز، والموضع الثاني في بؤرة في الكلى تخرج منها مع البول؛ ومن هنا جاءت أحاديث النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قمة في العلم والمعرفة ؛فهو الذي نهانا عن التخلي(التبرز) في الطريق،ونهانا عن التبول في الماء الراكد؛ حيث إن براز المريض وحامل الميكروب يلوث التربة بـ"سالمونيللا التيفود"، كما أن البول المحمل بها يلوث الماء والتربة خاصة أن "سالمونيللا التيفود" تستطيع البقاء حية في التربة مع البراز لمدة (6) أسابيع وفي الماء لأربعة أسابيع على الأقل.

كما أمرنا (عليه الصلاة والسلام) بغسل الأيدي وعدم التمسح باليمين؛ ومن المثبت علميًا الآن أن معظم حالات التسمم الغذائي وحالات "التيفود" و"الديزينتاريا" يكون سببها متداولي الأطعمة الحاملين للميكروبات المرضة والذين لا يتوخون النظافة وإتباع السنة. ولعل أشهر حاملة ميكروب هي الطاهية "ميري" M – ary في الولايات المتحدة التي اكتشفت أنها تحمل بكتريا "سالمونيللا التيفود"، وتخرجها مع البراز؛ وقد تسببت في تفشي العدوى بـ"حمى التيفود" لأفراد المنازل التي عملت بها، بل وفي المستشفيات أيضًا، وقد كان يتبعها آنذاك ضابط صحة عامة قد لاحظ ارتباط وجودها طاهية في أماكن تفشي حالات "حمى التيفود"؛ فطلب منها إجراء الفحوصات والتحاليل الطبية اللازمة إلا أنها رفضت وهربت من المنطقة؛ وظهرت بعد ذلك حالات أخرى من "حمى التيفود" في مستشفى عام فذهب ضابط الصحة نفسه لتلك المستشفى لدراسة مصدر العدوى، وفوجيء برؤية الطاهية "ميري" في مطبخ المستشفى والتي اتضح أنها تعمل هناك باسم مختلف عن اسمها (اتخذت اسمًا مستعارًا)،وانتهت القصة برفع قضية إلى المحكمة التي حكمت على الطاهية "ميري" بالتوقف عن العمل كطاهية، وإجراء الفحوصات اللازمة؛ ومنذ ذلك الحين سميت هذه الطاهية بـ"ميري التيفود" Typhoid Miary أما وباء "حمى التيفود" الذي حدث في مدينة "ابرين" في عام (1964)Aberdeen في بريطانيا وكان مثارًا للدهشة والعجب لأنه كان نتيجة لاستهلاك معلبات غذائية مستوردة وملوثة أصلاً من مصدر استيرادها؛ حيث وجد أن هذه المعلبات وضعت بعد تعقيمها في نهر قريب من المصنع بغرض تبريدها. وعللت التقارير آنذاك أن النهر كان ملوثًا بمياه المجاري، وأن بكتيريا "سالمونيللا التيفود "دخلت في المعلبات من خلال مفاصل في المعلبة لم يتم تلحيمها بشكل جيد.

نهى عن البول في المغتسل

(سبحان الله)!!! نهر جارٍ لوّث معلبات وضعت فيه للتبريد؛ فكيف بماء راكد؟! نعم، صدق الحبيب المصطفى (عليه الصلاة والسلام) ؛ فهو حقًا نبي الأمة،وهو حقًا لا ينطق عن الهوى.

في مخالفة تدابير الوقاية النبوية آثارٍ خطرة جدا

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.eajaz.org

الحجر الصحي

د. محمد علي البار*

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارًا منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها**). متفق عليه [البخاري ومسلم]، والترمذي عن أسامة تصحيح السيوطي: صحيح.

وقال صلى الله عليه وسلم:(الطاعون كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، وإن الله جعله رحمة للمؤمنين، فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد). رواه الإمام أحمد في مسنده وصحيح البخاري عن عائشة.

الحجر الصحي من أهم وسائل مكافحة الأوبئة

وقال صلى الله عليه و سلم:(الطاعون غدة كغدة البعير، المقيم بها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف). رواه الإمام أحمد في مسنده عن عائشة وقال السيوطي إنه حديث حسن.

إن الحجر الصحي من أهم وسائل مقاومة انتشار الأمراض الوبائية... و يظهر بجلاء كما تقدم أن الأحاديث النبوية الشريفة قد حددت مبادىء الحجر الصحي كأوضح ما يكون التحديد، فهي تمنع الناس من الدخول إلى البلد المصاب بالطاعون كما أنها تمنع أهل تلك البلدة من الخروج منها.

ومفهوم الحجر الصحي مفهوم حديث. فمنع السليم من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون مفهوماً بدون الحاجة إلى معرفة دقيقة بالمرض ولكن منع سكان البلدة المصابة بالوباء من الخروج وخاصة منع الأصحاء منهم يبدوا عسيراً على الفهم بدون معرفة واسعة بالعلوم الطبية الحديثة.

قد لا تظهر عوارض المرض في المراحل الأولى للإصابة والحجر يكشفها

فالمنطق والعقل يفرض على السليم الذي يعيش في بلدة الوباء أن يفر منها إلى بلدة سليمة حتى لا يصاب هو بالوباء !!

ولكن الطب الحديث يقول لك: إن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملاً للميكروب. وكثير من الأوبئة تصيب العديد من الناس ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضاً... فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أثر من آثار المرض.

وهناك أيضاً فترة حضانة وهي الفترة الزمنية التي تسبق ظهور الأمراض منذ دخول الميكروب إلى الجسم وفي هذه الفترة يكون انقسام الميكروب وتكاثره على أشده ومع ذلك فلا يبدو على الشخص في فترة الحضانة هذه أنه يعاني من أي مرض... ولكنه بعد فترة قد تطول أو قد تقصر على حسب نوع المرض والمكروب الذي يحمله تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه.

قد يحمل الشخص السليم الوباء من بلد إلى بلد

ومن المعلوم مثلاً أن فترة حضانة التهاب الكبد الوبائي الفيروسي قد تطول لمدة ستة أشهر... كما أن السل قد يبقى كامناً في الجسم لمدة عدة سنوات.

والشخص السليم الحامل للميكروب أو الشخص المريض الذي لا يزال في فترة الحضانة يعرض الآخرين للخطر دون أن يشعر هو أو يشعر الآخرين لذا جاء المنع الشديد وكان الذنب كبيراً كالهارب من الزحف.

فداك أبي وأمي يا سيدي يا رسول الله...

---

* طبيب وكاتب إسلامي. المصدر : كتاب العدوى بين الطب وأحاديث المصطفى. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

التداوي بالحجامة...هدي نبوي

د. عصام المقدم*

مقدمة

العلاج بالحجامة طريقة معروفة وقديمة عند كثير من الشعوب وعند العرب قبل الإسلام، وقد مدح النبي هذه الوسيلة العلاجية وحث عليها، وقد أجريت عدة أبحاث عملية لتقييم هذه الوسيلة علاجيًّا، وكان أبرز هذه الأبحاث بحث للدكتور عصام المقدم أخصائي الجراحة العامة بمستشفى التأمين الصحي بالقاهرة أجراه على سبعين مريضًا يعانون من أمراض واختلالات عديدة، وقد عولج بعض هؤلاء المرضى بالحجامة بمفردها وبعضهم بالحجامة والعلاج التقليدي مصاحبًا لها، وقد تحسنت حالة ٥٦٪ منهم تحسنًا واضحًا، وتحسنت حالة ٤٣٪منهم تحسنًا أقل من الأول، ومَن لم يستفد من الحجامة ١٪ فقط من هؤلاء المرضى، وتؤكد أحاديث النبي وهذه الأبحاث العملية أن الحجامة طريقة علاجية فعالة وبسيطة وغير مكلفة لبعض الأمراض وأنها ليست الوسيلة الوحيدة لعلاج جميع الأمراض كما يظن كثير من الناس؛ بل هي إحدى الوسائل العلاجية التي تفيد في بعض الأمراض بنسبة من الشفاء تقل أو تكثر تبعًا لظروف وأسباب عديدة.

وسيتناول هذا البحث النقاط التالية:

1 – أحاديث النبي المتعلقة بهذا الموضوع وأقوال العلماء فيها.

2 – الحجامة وسيلة علاجية قديمًا وحديثًا.

3 – أبحاث عملية تثبت حصول الأثر العلاجي للحجامة.

4 – وجه الإعجاز وتوصية مهمة في هذا الموضوع.

في الحجامة شفاء:

وردت عدة أحاديث عن النبي تؤكد أن في الحجامة شفاء:

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية نار، وإني أنهى أمتي عن الكي) رواه البخاري.

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: سمعت النبي يقول: (إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي) رواه البخاري.

وفي رواية عن جابر أيضًا: (إن كان في أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم) رواه البخاري.

وروى البخاري أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري).

وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (إن أفضل ما تداويتم به الحجامة أو هو من أمثل دوائكم).

ويلاحظ أن صيغ وصف الحجامة بأنها شفاء اختلفت في روايات الحديث ففي الحديث الأول ورد ذكرها مُعرَّفة بالألف واللام مفيدة العموم (الشفاء في ثلاثة... الحديث)، وللشفاء في لغة العرب معنيان: الدواء، والبُرْءُ، والمراد في هذا الحديث الدواء فكأن ظاهر هذه العبارة يفيد حصر الدواء النافع لكل الأمراض في هذه الثلاثة، وهذا الفهم يتعارض وأحاديث أخرى كثيرة وصف فيها النبي – صلى الله عليه وسلم –وسائل أخرى كالعلاج ببعض الأعشاب والنباتات والعلاج بالألبان وبالماء وغير ذلك، إذًا فالعموم ليس مقصودًا، وقصر الوسائل على الثلاثة فقط ليس بمقصود أيضًا، ويؤكد ذلك بقية صيغ

الأحاديث الأخرى التي تتحدث عن نفس الوسائل العلاجية الثلاثة والتي رواها الإمام البخاري أيضًا؛ ففي الحديث الثاني: (إن كان أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم.. الحديث)، وفي الحديث الثالث كانت العبارة أكثر وضوحًا: (إن كان في أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم)، وفي الحديثين الرابع والخامس كانت الصيغة واضحة في أن الحجامة من أفضل أو من أمثل الطرق العلاجية، وهذا لا يمنع وجود وسائل أخرى لها نفس الفضل ولها نفس المثلية في التداوي بها.

أقوال شُرَّاح الحديث:

قال ابن حجر العسقلاني: (ولم يُرِدِ النبيُّ الحصر في الثلاثة فإن الشفاء قد يكون في غيرها وإنما نبه بها على أصول العلاج).

كما علق ابن حجر على صيغة أول الحديث فقال: ويحتمل أن يكون التقدير: إن كان في شيء أو إن كان يكون في شيء، فيكون التردد لإثبات لفظ يكون أو عدمها، فينبغي أن يحمل هذا الحديث على جملة ما يتداوى به الناس – كما قال الخطابي.

كما علق ابن حجر على موافقة الكي للداء منبهًا إلى أنه لا ينبغي أن يجريه إلا خبير فقال: قوله: (توافق الداء) فيه إشارة إلى أن الكي إنما يشرع منه ما يتعين طريقًا إلى إزالة الداء، وأنه لا ينبغي التجربة لذلك ولا استعماله إلا بعد التحقق[1]

إن أفضل ما تداويتم به الحجامة

وعليه فالحجامة ليست علاجًا لكل الأمراض كما يظن بعض الناس وإنما هي إحدى الوسائل العلاجية التي قد يتفرد العلاج بها في بعض الأمراض أو تكون مصاحبة للعلاج بوسائل أخرى في بعضها الآخر، وأنه لا ينبغي أن يقوم بإجرائها إلا الخبراء. (...)

ما هي الحجامة؟

الْحَجْمُ في اللغة: الْمَصُّ، يقال: حَجَمَ الصبيُّ ثديَ أُمِّه إذا مَصَّه، والحجَّام المصَّاص لفم الْمِحْجَمة، والفعل منه حَجَمَ يَحْجِمُ بكسر الجيم وضمها.

وَالْمِحْجَمُ والْمِحْجَمَةُ بكسر الميم: ما يُحْتَجَمُ به سواء كانت الآلة التي يحجم بها – أي يمص الدم بها – أو الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة أو مشرط الحجامة.

آلية إجراء الحجامة:

تعتمد آلية الحجامة على خلخلة الهواء فوق نقاط معينة بالجسم بواسطة آلة مجوفة ذات فتحتين يمص الهواء من إحداهما أو قارورة مفرغة من الهواء ميكانيكيًّا أو بواسطة إحراق قطعة صغيرة من القطن فيحدث نتيجة لذلك احتقان للمنطقة الواقعة تحت موضع الحجامة.

أنواع الحجامة:

والحجامة نوعان: حجامة بلا شرط – وتسمى حديثًا الحجامة الجافة – وفيها يستعمل المحجم للمص أو تفريغ كأس الحجامة من الهواء فتبرز منطقة الجلد تحتها محتقنة بالدماء وهي الحجامة الشائعة في الصين واليابان وبعض الدول الأوروبية وأمريكا، أما إذا استخدم المشرط لتشريط المنطقة المحتقنة من الجلد فتسمى الحجامة بالشرط، وفي الطب الحديث تسمى الحجامة الدامية أو الرطبة، وهي التي كانت شائعة في عصر النبوة وهي شائعة الآن في بعض الدول الأوروبية – وعلى الأخص ألمانيا الاتحادية – وفيها يفصد الدم بجروح بسيطة لا تتجاوز 3سم وبعمق يتراوح من نصف إلى واحد ونصف مم.

الحجامة قديمًا وحديثًا:

تعتبر أوراق البردي التي سجل فيها قدماء المصريين طريقة العلاج بالحجامة من أقدم الوثائق التاريخية في هذا الموضوع، ووصف اليونانيون القدماء هذه الطريقة العلاجية، وشاع استخدامها عند العرب في الجاهلية وأقر الرسول – صلى الله عليه وسلم – قومه على استخدام هذه الوسيلة العلاجية، وطبقها وحث على تطبيقها، وقد انتشرت الحجامة في كثير من بلاد المشرق والمغرب في الصين والهند وأوروبا وأمريكا خلال القرون الماضية، وكانت لها مكانتها في الدوريات والمراجع العلمية حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وقد أدخلت الحجامة إلى أوروبا عبر بلاد الأندلس يوم أن كان الأطباء المسلمون ومدوناتهم هي المرجع الأول في علوم الطب، وها هي الحجامة تعود مرة أخرى إلى الظهور بقوة في البلاد الأوروبية والأمريكية بعد ما اختفت من المراجع

الطبية في نهاية الستينيات من هذا القرن، فصارت تعقد لها الدورات الدراسية في كليات الطب البديل المنتشرة في أمريكا وبعض الدول الأوروبية والصين وبعض دول شرق آسيا.

استطبابات الحجامة في هدي النبوة:

1 - تَبَيُّغُ الدم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اشتد الحر فاستعينوا بالحجامة لا يتبيغ الدم بأحدكم فيقتله)، رواه الحاكم وصححه. والتبيغ هو التهيج، والمعنى زيادة الدم أو تهيجه وأكثر ما يحدث في ارتفاع التوتر الشرياني المترافق باحتقان الوجه والملتحمتين والشفتين واليدين والقدمين ويحدث أيضًا في فرط زيادة كرات الدم الحمراء والتي تحدث بأسباب عديدة.

2 - أوجاع الرأس أو الصداع:

عن سلمى - رضي الله عنها - خادم رسول الله قالت: ما كان أحد يشتكي إلى رسول الله وجعًا في رأسه إلا قال: (احتجم)، ولا وجعًا في رجليه إلا قال: (اخضبهما)، رواه أبو داود، وهو حديث حسن.

وهذا الحديث - كما قال الدكتور النسيمي - يُحْمَلُ على فرط الضغط الدموي والصداع الوعائي.

3 - الشقيقة (الصداع النصفي):

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله احتجم وهو مُحْرِمٌ في رأسه من شقيقة كانت به،(رواه البخاري).

4 - عِلاج الوَثْء - وهو التواء المفصل العنيف:

عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما: (أن رسول الله احتجم على وركه من وَثْءٍ كان به)، رواه أبو داود وهو حديث حسن.

5 - علاج الآلام:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه: (أن رسول الله احتجم وهو مُحْرِمٌ على ظهر القدم من وجع كان به)، رواه أبو داود وإسناده صحيح. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه قال: (إن أبا هِندٍ حَجَمَ النبي في يافوخه من وجع كان به)، رواه البيهقي.

6 - علاج الْخُرَّاج:

عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: جاءنا جابر بن عبدالله في أهلنا ورجل يشتكي خُرَّاجًا به أو جراحًا، فقال: ما تشتكي؟ قال: خراج بي قد شَقَّ عَلَيَّ، فقال: يا غلام ائتني بِحِجَام، فقال له: ما تصنع بالحجام يا أبا عبد الله؟ قال: أريد أن أعلق فيه محجمًا، قال: والله إن الذباب ليصيبني أو يصيبني الثوب فيؤذيني ويشق علي! فلما رأى تبرمه من ذلك قال: إني سمعت رسول الله يقول: (إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار، قال رسول الله : وما أحب أن أكتوي) قال فجاء بحجام فشرطه فذهب عنه ما يجد. رواه مسلم.

العلاج بالحجامة في الطب الحديث:

للحجامة شروطها وعلى الحجام أن يكون طبيبا

تنتشر في كثير من البلاد الأوروبية والأمريكية جامعات ومعاهد لتعليم الطب البديل أو الطب المكمّل ومراكز علاجية كثيرة مبنية على وسائله المتعددة وتحتل الحجامة موقعًا بارزًا بين هذه الوسائل تعليمًا وتطبيقًا، وقد زُرتُ وبعض الزملاء من الأطباء عددًا من هذه الجامعات والمراكز العلاجية وعاينتُ بنفسي الشفاء لكثير من المرضى.

آلية تأثير الحجامة:

تشابه آلية تأثير الحجامة آلية تأثير الإبر الصينية والنقاط الانعكاسية في الجسم حيث تبنى آلية هذه الوسائل على نظرية مسارات الطاقة في الجسم وهي نظرية صينية قديمة تفترض وجود مسارين للطاقة أحدهما يسمى (الين) والآخر يسمى (اليانج) وذلك في مفهوم عامة من الطاقة يسمى (تشاي) أو القوة الحيوية، وهذان المساران متكاملان على الرغم من كونهما متعارضين، ويجب أن يكونا في حالة توازن حتى ينعم الجسم بالصحة والقوة.

وهذه القوة الحيوية تدور في الجسم في مسارات تشابه

مسارات الدم واللمف والأعصاب، وَسَمَّوْها خطوط الميريديان أو خطوط الطول والعرض، ويمكن رصد هذه المسارات الآن بالطرق الإلكترونية ووسائل أخرى، وهناك 26 دائرة رئيسة من خطوط الميريديان وكل دائرة مقترنة بوظيفة أو عضو من وظائف وأعضاء الجسم.

وتشكل خطوط الميريديان شبكة تغطي كل الجسم من الأمام والخلف والأطراف العليا والسفلى، ويوجد عليها 361 نقطة يمكن استخدامها لإحداث التوازن المفقود في بعضها فيشفى العضو المعطوب.

وقد صممت أجهزة حديثة للجمع بين العلاج بالحجامة الجافة والعلاج بالإبر الصينية وتوضع على نفس نقاط الحجامة ونقاط الإبر الصينية.

ويعالج بهذه الأجهزة أمراض الشريان التاجي في القلب وارتفاع ضغط الدم، وخفقان القلب، وارتفاع الدهون في الدم، والتهاب المعدة وقرحة المعدة والاثنى عشر، والإسهال المزمن، والتهاب الكبد المزمن، وحصوات المرارة، والتهاب البروستاتا، والعجز الجنسي، والشلل النصفي للوجه، والصداع والشقيقة، وتصلُّب الرقبة وآلامها وعِرْق النَّسا، وآلام أسفل الظهر، والانزلاق الغضروفي وآلام فقرات الظهر، ومرض الروماتويد، وآلام القدم، ودوار البحر والسيارات، والاضطرابات العقلية عند المسنين، وإسهال الرضَّع، وآلام الأسنان، وضعف السمع، والتهابات الخصية المصحوبة بتجمع مائي، والربو والالتهابات الرئوية والسعال والنزلات الشعبية، وحتى نزلات البرد. وأهم الأمراض التي يمكن أن تفيد في علاجها الحجامة الرطبة الآلام الروماتيزمية المزمنة، الصداع المزمن نتيجة لارتفاع ضغط الدم، والشقيقة، ضغط الدم المرتفع، البواسير، الإكزيما الحادة والمزمنة وبعض الأمراض الجلدية، هبوط القلب المصحوب بارتشاح في الرئتين، أمراض الصدر والقصبة الهوائية وآلام المرارة والأمعاء وآلام الخصية، وانقطاع الطمث الأوَّلي والثانوي.

كما تساعد الحجامة الجافة والرطبة في تسكين الآلام وتخفيف الاحتقان بصفة عامة في كثير من الأماكن في الجسم خصوصًا في بعض أمراض الرئة الحادة، واحتقانات الكبد، والتهابات الكلية، والتهاب غشاء التامور، والآلام العصبية القطنية والوربية، والوجع الناخس.(...)

تعالج الحجامة هياج الدم وأوجاع الرأس والشقيقة والخرّاج وآلام الجسم

وجه الإعجاز:

1 – وضع النبي – صلى الله عليه وسلم – قواعد علاجية تعتبر أصلاً من أصول العلاج السليم سبق به الإسلام كل القواعد العلاجية الحديثة.

أولها: أن لكل داء دواء وأنه لا يوجد دواء واحد يصلح أن يكون علاجًا لكل الأمراض وهو ما أكده حديث النبي – صلى الله عليه وسلم: (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله)، رواه مسلم.

فيجب أن يفهم حديث: (الشفاء في ثلاثة)، الوارد في الحجامة والعسل والكي، وحديث: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام) وجميع الأحاديث الأخرى المشابهة في ضوء هذا الأصل العظيم الذي وضعه نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم.

قال ابن حجر العسقلاني: (ولم يُرِد النبي – صلى الله عليه وسلم – الحصر في الثلاثة فإن الشفاء قد يكون في غيرها وإنما نبه بها على أصول العلاج).

الأصل الثاني الذي وضعه نبي الإسلام في العلاج: هو الأمر بالتداوي والحث عليه وأنه لا توجد أمراض ليس لها علاج في المفهوم الإسلامي فعلى الطبيب أن يبحث ويجدّ في البحث حتى يصل للدواء.

عن أسامة بن شريك – رضي الله عنه – قال: شهدتُ الأعراب يسألون النبي – صلى الله عليه وسلم: أعلينا حرج في كذا؟ أعلينا حرج في كذا؟، فقالوا: يا رسول الله، هل علينا حرج أن لا نتداوى؟ قال: تداووا عباد الله فإن الله – سبحانه – لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم)، رواه الأربعة واللفظ لابن ماجه.

الأصل الثالث: تحصيل العلم بالطب وممارسة التطبيب

شرط في التعرض لعلاج الناس بأي وسيلة علاجية، كما تشير عبارة الحديث «أو لذعة بنار توافق الداء» وتعليق ابن حجر عليها إلى هذا الأصل.

عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: حدثني بعض الوفد الذين قدموا على أبي قال: قال رسول الله : (أيما طبيب تطبب على قوم لا يعرف له تطبب قبل ذلك فأعنت فهو ضامن)، والمراد قطع العروق والبط والكي، أبو داود.

أي إن حصلت هناك أخطاء ممن يتصدّون لعلاج الناس ولم يعرف عنهم دراسة للعلوم الطبية وممارسة للعلاج الطبي منهم فهم ضامنون لكل الأخطاء الناتجة من أفعالهم وإن حسنت نياتهم.

الأصل الرابع: يوجد تنوع في الوسائل العلاجية للأمراض وأحيانًا للمرض الواحد، قد لا يعلمها إلا متخصص دقيق، لذا يجب أن يتحلى المعالج بالأمانة العلمية فالحالات التي لا يعرف علاجًا لها أو يعرف أن غيره أعرف منه بطرق المعالجة يجب عليه أن يحيلها لمن هو أقدر منه.

عن سعد قال: مرضت مرضًا أتاني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعودني، فوضع يده بين ثديَيَّ حتى وجدتُ بردها على فؤادي فقال: (إنك رجل مفؤود ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن)، رواه أبو داود.

الأصل الخامس: الأمراض لها مسببات قد تكون مادية في صورة كائنات دقيقة أو جزيئات سمية أو مسببات نفسية في صورة اضطرابات انفعالية ينتج عنها خلل في المنظومة الهرمونية والجهاز المناعي، لذلك أمر نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم – بالتوقي منها في أحاديث عديدة.

2 – اختار النبي وسيلة العلاج بالحجامة من بين الوسائل العلاجية المنتشرة في بيئته وحث عليها وطبقها على نفسه، ونهى عن ممارسة بعض الوسائل الأخرى، وما اختاره وحث عليه ومدحه، ثبت بالدليل العلمي فوائده كما أخبر – عليه الصلاة والسلام – في قوله: (إن أفضل ما تداويتم به الحجامة، أو هو من أمثل دوائكم).

3 – أعطى كل وسيلة علاجية وصفًا دقيقًا لدورها في العلاج فوصف الحجامة في مجموع الأحاديث المنقولة عنه – عليه الصلاة والسلام – بأن فيها شفاء، وقد ثبت هذا الشفاء بالأبحاث وبإنشاء المراكز الطبية التي تعالج بالحجامة، وبالكليات الجامعية التي تدرسها وتمنح الشهادات العلمية فيها في معظم دول العالم المتقدم.

خاتمة:

لقد أصل نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم – هذه الخيارات، ووضع هذه الأسس والقواعد العلاجية في زمن كان الاعتقاد السائد فيه أن الأمراض تسببها الأرواح الشريرة والشياطين والنجوم، وكانوا يطلبون لها العلاج بالشعوذة والخرافات، فمنع نبي الإسلام كل الممارسات العلاجية المبنية على هذه الاعتقادات الخاطئة فنهى رسول الله عن التطير والتمائم والسحر – عليه الصلاة والسلام:(إن الرقى والتمائم والتُّوَلَةَ شرك)، رواه أبو داود، وقال أيضًا: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم)، رواه الترمذي.

إن الذي يقرر هذه الحقائق منذ أربعة عشر قرنًا من غير أن يمتلك الأجهزة المتقدمة في الفحص والعلاج وفي بيئة يغلب عليها السلوك الخاطئ في العلاج لا يمكن إلا أن يكون موصولاً بالوحي الإلهي؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (سورة النجم).

---

* أخصائي الجراحة العامة بمستشفى التأمين الصحي بالقاهرة. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.eajaz.org

المراجع:

١ – الحافظ أحمد بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٠، كتاب الطب.
٢– محمود ناظم النسيمي، الطب النبوي والعلم الحديث، ج ٣– الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، المتحدة للتوزيع، دمشق.
٣ – شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن القيم) الطب النبوي.
٤ – الحافظ شمس الدين الذهبي، الطب النبوي دار البشير – القاهرة.
٥ – غياث حسن الأحمد، الطب النبوي في ضوء العلم الحديث، الطبعة الأولى، دار المعاجم، دمشق.
٦ – غسان نعمان ماهر، الطب البديل الطبعة الثانية – بيروت.
٧ – لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين.

الحجامة... أسرار وعلاج

د. عبد الدائم الكحيل*

يقول تبارك وتعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]

قال صلى الله عليه وسلم:

إن أمثَلَ ما تداويتم به الحجامة...[رواه البخاري ومسلم]

مقدمة

تقوم العديد من المعاهد والمراكز الطبية العالمية اليوم بتدريس فن الحجامة كعلاج شعبي، وهناك العديد من مواقع الإنترنت تنشر نتائج لدراسات حول فوائد الحجامة وأثرها على مختلف الأمراض. وهذا العلاج موجود منذ ثلاثة آلاف عام، وقد أكّده النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على فوائده الطبية، لأن النبي الكريم لا ينطق عن الهوى، بل بما علّمه الله تعالى، وهو أعلم بمصلحة عباده وأخبر بهم من أنفسهم!

ونقدم من خلال هذا البحث رؤية جديدة للعلاج بالحجامة من خلال تلاوة الآيات القرآنية، فقد ثبُت حديثاً أن خلايا الدم تتأثر بالترددات الصوتية، وبما أن العلاج بالحجامة يعتمد أساساً على إزالة الدم الفاسد، فإن التأثير بالقرآن يؤدي إلى تنشيط خلايا الدم السليمة، وبنفس الوقت يسرّع عملية التخلص من خلايا الدم التالفة والهرمة، ويجعل عملية الحجامة أكثر فاعلية.

فكرة العلاج بالحجامة

هناك زيادة في عدد الكريات الحمر نتيجة الإنتاج المستمر لها، ولابد من إعادة التوازن إلى الدم، ولذلك تُعتبر الحجامة وسيلة آمنة وفعّالة للقيام بذلك.

وقد أثبتت بعض الدراسات أن دم الحجامة يختلف عن الدم الوريدي، حيث يكون عدد الكريات البيض أقل (خلايا الدم البيضاء هي المسؤولة عن مقاومة الجراثيم والفيروسات)، وهذا يعني أن الخلايا المناعية تبقى في الجسد وتخرج الكريات الحمراء الزائدة، أي الدم غير المرغوب فيه.

الحجامة... ماذا تعالج؟

تعالج الحجامة كثيراً من الأمراض ومنها تخليص الدم من السموم الناتجة عن الاضطرابات المختلفة للأعضاء، ولذلك تقوم الحجامة بعلاج أمراض الدم والأمراض الإنتانية، وتجدد نشاط الجسم، وتحرّض مراكز الطاقة فيه، كما تعالج أمراض الجهاز الهضمي وأمراض الأوعية الدموية والكبد وبعض الأمراض العصبية!

لم تعد الحجامة علاجاً شعبياً فقط

الحجامة تحسّن تدفق الدم عبر الدماغ!

يؤكد عدد من الأطباء أن الحجامة يمكن أن تقي من السرطان وبعض حالات الشلل والروماتزم والربو والشقيقة!

وقد أقرَّ النبي صلى الله عليه وسلم الحجامة كطريقة في العلاج، مع العلم أنه نهى عن العلاج بالخمر فقال: (إنها داء وليست بدواء)، وقد ثبُت بالفعل صدق هذا التشريع الإسلامي، وهذا يدل على أن النبي الكريم ميَّز بين الضار

والنافع، وهذه معجزة تشهد بصدقه عليه الصلاة والسلام.

الحجامة تعالج كريات الدم الهرمة

كما نعلم أن النمو يتوقف بعد سن العشرين، مما يؤدي إلى عجز الجسم عن التخلص من جزء من الدم الفاسد، حيث تتراكم السموم وبخاصة في منطقة الظهر (وهي المنطقة غير المتحركة من الجسد)، ومع زيادة الكريات الدموية الهرمة يؤدي ذلك إلى خلل في عمل الدورة الدموية، وبالتالي خلل في أداء أجهزة الجسد. وهنا يأتي دور الحجامة في تخليص الجسد من الدم الفاسد.

كيف تتم الحجامة؟

الحجامة ببساطة هي وضع كأس فارغة على منطقة الظهر حيث هذه المنطقة هي الأقل حركة في الجسد مما يؤدي إلى تجمع كريات الدم الهرمة. وبعد ذلك يتم تفريغ هذه الكأس من الهواء فينجذب الجلد بسبب حدوث انخفاض في الضغط، ويحدث نشاط في هذه المنطقة مما يجذب إليها الدم ويحدث احتقان موضعي للدم. ثم يتم بعد ذلك نزع الكأس وإحداث جروح صغيرة جداً في مكان تجمع الدم، مما يؤدي إلى خروج الدم الفاسد من هذه الجروح. وبالتالي إعادة النشاط للدم وتخليصه من الرواسب والفضلات وهذا يؤدي إلى تنشيط حركة الدم.

أهمية الدم بالنسبة للجسد

يتألف الدم من ٤٥ ٪ خلايا، و٥٥ ٪ سائل (بلاسما)، ويحوي جسم الإنسان ٢٥ تريليون كرية دم

تخفض الحجامة من الكريات الحمراء الزائدة عن حاجة الدم

حمراء، و٣٥ مليار كرية دم بيضاء. والدم يشبه شبكة التيار الكهربائي بالنسبة لمدينة صناعية، فهو يقوم بنقل الأكسجين والغذاء إلى أجهزة الجسد، ويقوم أيضاً بنقل الفضلات والسموم وغاز الكربون لمعالجتها في الأجهزة المختصة مثل الكبد. أما الكريات البيضاء فهي تشبه الجنود التي تدافع عن أعضاء الجسد ضد أي هجوم للفيروسات أو البكتيريا. ويبلغ طول شبكة الأوعية الدموية أكثر من ١٠٠٠٠٠ (مئة ألف) كيلو متر فتصوَّر!

خلايا الدم الحمراء Erythrocytes

هذه الخلايا تقوم بدور حيوي جداً، وأي خلل يصيبها فإن عدداً من أجهزة الجسد يضطرب، وهنا تأتي الحجامة لتصلح هذا الخلل من خلال التخلص من الخلايا الهرمة، وتقليل عدد الكريات الحمر، وفسح المجال أمامها للعمل بكفاءة أعلى. ولذلك فإن الحجامة تعالج ارتفاع ضغط الدم، بسبب تنقيته من الخلايا الكسولة أو "المعطلة" وهذا يؤدي إلى "تحسين" نوعية الدم وزيادة نشاط خلاياه. كذلك يؤدي إلى معالجة الضعف العام والإعياء.

ماذا تفعل الشوائب في الدم؟

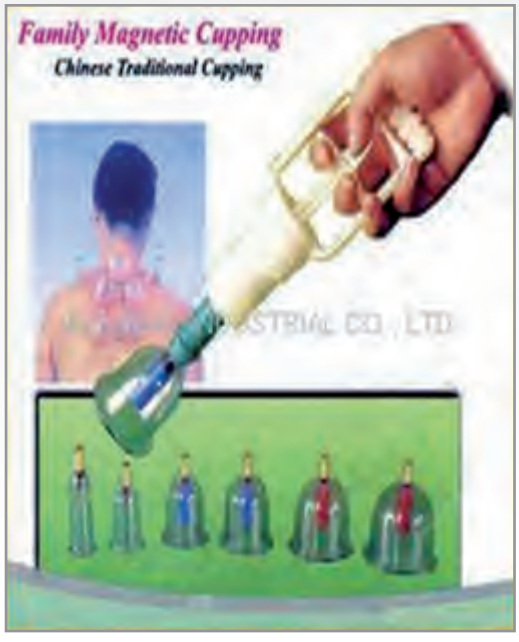

يؤكد بعض الأطباء أن الفضلات والسموم والشوائب التي يحويها الدم، إذا تراكمت ولم يتم إزالتها فإنها تسبب الإصابة بأمراض مختلفة وقد يعجز الأطباء عن معرفة سبب هذه الأمراض، ولذلك فإن الحجامة تضمن إزالة هذه الشوائب وإعادة التوازن للدورة الدموية ليقوم الدم بدوره الذي خلقه الله من أجله.

والحجامة عملية آمنة وسهلة ورخيصة وتخفف الآلام وتنشط الوظائف الحيوية لأجهزة وأعضاء الجسم.

شروط الحجامة الطبية السليمة

١- تعقيم أدوات الحجامة جيداً لتجنب تلوث الدم.
٢- أفضل منطقة للحجامة على منطقة الكاهل كما فعل النبي الكريم.
٣- عدم المبالغة في تشطيب مكان الحجامة بل يكتفى بإحداث جروح صغيرة جداً، لتجنب حدوث النزيف أو خسارة كمية إضافية من الدم.
٤- أن يكون المحتجم في حالة نفسية مطمئنة وأن يعتبر أن عملية الحجامة هي سنّة نبوية له فيها أجر وشفاء.

وهناك شروط أخرى ولكنها تحتاج لمزيد من الدراسة والبحث.

مواصفات دم الحجامة

يؤكد عدد من الأطباء أن دم الحجامة يختلف عن الدم الوريدي، حيث لاحظوا أنه يحوي عدداً أقل من الكريات البيض، وهذا يعني أن هذه الكريات المسؤولة عن مناعة الجسم لا تخرج إلا بكميات قليلة، مما يؤدي لرفع النظام المناعي للإنسان! كذلك فإن معظم الكريات الحمراء الهرمة والتالفة تخرج مع دم الحجامة، مما يعني زيادة نشاط الدورة الدموية. والنظام المناعي يصيبه الكسل بين الحين والآخر، والحجامة كفيلة بتنشيطه.

الحجامة لتنشيط الكبد والطحال والمعدة

هناك بعض الدراسات تؤكد فائدة الحجامة في تنشيط عمل الكبد ومساعدته على القيام بوظائفه، لأن الحجامة تنقي الدم من الشوائب وهذا يخفف من السموم القادمة إلى الكبد، وبالتالي تخفيف ضغط العمل! كذلك يستفيد الطحال من الحجامة من خلال تنشيط خلايا الطحال.

أما المعدة فتصبح أكثر نشاطاً بسبب تنشيط الدورة الدموية وتخليص الأوردة المعوية من ركود الدم فيها والذي يؤدي إلى تراكم الشوائب والسموم والملوثات.

الحجامة والتشنجات العضلية

يُستفاد من الحجامة في علاج تشنجات عضلة الرقبة وعضلات الظهر والقدمين. من خلال إمداد هذه العضلات بالدم قليل الشوائب، وتعتبر الحجامة بمثابة شحن لطاقة الجسد. كذلك عالجت الحجامة الآلام العصبية القطنية. ويمكن أن تعالج التهاب الكلية، وكذلك بعض الأمراض الجلدية مثل الأكزيما.

الحجامة تعالج الصداع النصفي

الكريات البيضاء المسؤولة عن المناعة لا تخرج بالحجامة

يؤكد عدد من الأطباء أن الحجامة يمكن أن تشفي من بعض حالات الروماتزم والربو والشقيقة! وسبب ذلك أن الحجامة تنقي الدم من الشوائب الزائدة وتساعده على أداء عمله بشكل أفضل، مما يتيح للدم أن يتدفق عبر الدماغ بشكل أفضل، وهذا يخفف آلام الصداع. وحبذا لو يتم الاستماع إلى القرآن كل يوم لأطول مدة ممكنة، لأن الترددات الصوتية القرآنية تنشط خلايا الدماغ وتزيل التعب عنها.

هل يمكن للحجامة أن تعالج العقم؟

هناك دراسات قليلة في هذا المجال، ولكن بعض الباحثين يؤكدون ذلك. فقد تم تطبيق الحجامة على بعض حالات الضعف الجنسي وحالات العقم، وقد حصلوا على نتائج مبشّرة في هذا المجال (حيث زاد عدد الحيوانات المنوية لدى الرجل بعد الحجامة)، ولكن الأمر يتطلب مزيداً من التجارب والدراسات.

الحجامة وأمراض العين

من خلال تنشيط الدورة الدموية وتحسين نوعية الدم ورفع النظام المناعي للجسم، كل ذلك يؤدي إلى تحسن الرؤيا وعلاج بعض أمراض العين، ولكن أنصح باللجوء إلى الحجامة مع الدعاء بأسماء الله الحسنى، وبخاصة باسمه (البصير)، فهو القائل: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: ١٨٠]. فالعلاج بأَسماء الله الحسنى أمر صَحيح وثابت ومجرَّب، والله لا يرد من سأله بأسمائه!

تنشط الحجامة تدفق الدم في الدماغ

العلاج المتعدّد بالقرآن والحجامة والعسل

يقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. هذه الآية تؤكد دور القرآن في الشفاء، وهو ما أثبتته الدراسات الجديدة في هذا المجال. ويقول تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]. كذلك فقد أثبت البحث العلمي الفوائد العظيمة للعسل في علاج مختلف الأمراض. ولذلك أنصح باللجوء إلى علاج متعدد من الحجامة والغذاء بالعسل وزيت الزيتون، بالإضافة للاستماع إلى القرآن!

الأساس العلمي للعلاج بالصوت

قام بعض الباحثين بتجارب على تأثير الترددات الصوتية على خلايا الدم. وتبيَّن أن للصوت تأثيراً على هذه الخلايا حيث يجعلها تهتز بطريقة صحيحة، وتقوم ترددات صوتية محددة بتنشيط الخلايا وإعادة التوازن لها، وبنفس الوقت يمكن للصوت أن يطيل عمر الخلية من خلال تصحيح البرامج التي أودعها الله فيها. فالتلوث والفيروسات والسموم الموجودة في الماء والهواء والغذاء، جميعها تؤثر سلبياً على هذه الخلايا، وتحدث اضطراباً في عملها مما يؤدي إلى الأمراض، وهنا يأتي العلاج بالصوت ليعالج هذا الخلل.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

كيف يؤثر القرآن على خلايا الدم

قام عالم فرنسي بتجارب على تأثير الصوت على خلايا الدم، فوجد أن بعض الترددات الصوتية تنشط هذه الخلايا وتجعلها أكثر كفاءة، مما يرفع النظام المناعي للجسم. ولكنه لم يعثر على الترددات الصوتية الصحيحة. وهنا يأتي دور القرآن الكريم الذي هو كلام الخالق تبارك وتعالى، فالترددات الصوتية القرآنية تستطيع التأثير على خلايا الدم وبخاصة الكريات البيضاء فتصلح البرامج التي تحويها هذه الخلايا، مما يساعدها على أداء عملها في مقاومة الفيروسات والبكتريا، وقد أثبت هذا الباحث أن صوت المريض هو الأكثر تأثيراً على خلايا جسده!

المعلومات التي أودعها الله في القرآن

تعالج الحجامة الخلايا الهرمة

في كل آية معلومة خاصة بشفاء مرض محدد، ولكي نضمن نقل هذه المعلومة إلى مختلف خلايا الجسم لابد من وسيط، وأفضل وسيط لذلك هو الماء والعسل، فهذه مواد مباركة

وقد أودع الله فيها معلومات خاصة بالشفاء، ولكن إذا أثّرنا عليها بصوت القرآن فإن مستوى الطاقة فيها سيزداد وستخزن معلومات الشفاء وتنقلها إلى خلايا الجسم، وهذا يزيد من احتمالات الشفاء بإذن الله تعالى.

العلاج المتعدد

ويتم كما يلي:

١- يفضل أن يقرأ المريض آيات من القرآن كل يوم صباحاً ومساءً، وذلك قبل الحجامة بمدة سبعة ايام. والقراءة تكون بصوت مسموع وخاشع.

٢- القراءة تتم على كأس من العسل المذاب بالماء ثم شربه، وأن يكون المريض واثقاً بشفاء الله، وأن يخشع قلبه للقرآن.

٣- يجب على المريض أن يطبق تعاليم القرآن مثل الطهارة والصلاة والصيام والبعد عن الغيبة والنميمة وترك النظر إلى ما حرَّم الله، حتى يحس بالنقاء والخشوع والاطمئنان.

٤- تتم الحجامة من خلال مختص يقرأ الآيات القرآنية وبخاصة سورة الفاتحة، قبل وأثناء وبعد الحجامة، لأن القرآن يؤثر على خلايا الدم، ويضمن خروج الخلايا الفاسدة والهرمة بكميات أكبر بإذن الله تعالى.

الحالة النفسية وأثرها على نجاح الحجامة

الحجامة هي عمل طبي مادي، ولكن لكي نضمن الفائدة القصوى يجب أن يقتنع المريض بهذا العلاج، وأن يكون على ثقة تامة بالشفاء، أي أن الحالة النفسية لها تأثير كبير على نتائج الحجامة. وأثناء الحجامة يجب على المريض أن يقرأ القرآن بخشوع، وأن يتخيل وكأن الدم الفاسد قد خرج بالكامل من جسده وأن التوازن والنشاط والصحة قد عادت إلى هذا الجسد المريض. وهذا له تأثير كبير على حركة خلايا الدم. إذ أن المعلومات التي يؤثر بها الإنسان على نفسه تؤثر على نظام عمل الدماغ والقلب، وهذا هو مبدأ العلاج بالبرمجة اللغوية العصبية. وفي عملية الحجامة ينبغي الاستفادة من بقية العلوم لرفع كفاءة هذه العملية.

من فوائد الحجامة الطبيَّة

- لعلاج الضعف العام.
- لعلاج أمراض الجهاز الهضمي.
- لتجديد نشاط الجسم.
- لعلاج الآلام العصبية.
- لعلاج ضغط الدم.
- تخلّص الجسد من الدم الفاسد.
- تنشيط جهاز المناعة.
- التخلص من السموم.
- لعلاج ارتفاع حمض البول.
- لعلاج ضعف الذاكرة.
- الوقاية من الجلطة الدماغية.
- تخفيف آلام العمود الفقري.
- تحسين الرؤيا.
- لعلاج الضعف الجنسي.
- لعلاج بعض حالات العقم.
- لعلاج التشنج العضلي.
- تنظيم الدورة الدموية.
- لعلاج الأمراض النفسية.

شروط الحجامة الطبية السليمة

النتائج

١- الحجامة هي علاج مجاني وسليم وله العديد من الفوائد الطبية.

٢- الحجامة هي عملية صيانة دورية للدم مما يؤدي إلى تنشيط الخلايا وإزالة السموم المتراكمة، وبالتالي تقوية نظام المناعة.

٣- العلاج المتعدد باستخدام الحجامة وتلاوة آيات الشفاء والعسل، يمكن أن يكون وسيلة فعالة جداً لعلاج الكثير من الأمراض المستعصية مثل السرطان والإيدز والالتهابات المزمنة وحتى الأمراض النفسية مثل الفصام.

٤- ينبغي إقامة مركز عالمي للحجامة يتخصص بإجراء دراسات وأبحاث علمية عن فوائد الحجامة في علاج الأمراض

التي لم يتم التطرق إليها، وكذلك وضع الأساس العلمي الصحيح للعلاج بالحجامة بحيث يصبح هذا العلم مقبولاً عالمياً.

٥- إعداد مرجع علمي عن "موسوعة الحجامة" كعلاج ودواء بحيث تتضمن كل التجارب والأبحاث والنتائج حول هذا العلاج الفعال.

آفاق الحجامة المستقبلية

من خلال النتائج السابقة يتبين لنا أن أبحاث الحجامة لا تزال في بداياتها، ولذلك ينبغي على أطباء المسلمين أن يقوموا بمزيد من التجارب لإثبات صدق هذه السنة النبوية المؤكدة، وأن تشمل التجارب أمراض جديدة لم يتم بحثها بشكل كافٍ من قبل مثل:

١- إجراء تجارب على فائدة الحجامة للأمراض النفسية.

٢- تجارب على فائدة الحجامة بالنسبة لمرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز).

٣- تجارب على فوائد الحجامة في تخفيف الوزن ومعالجة الوزن الزائد.

٤- القيام بدراسات لمعرفة أثر الحجامة للوقاية من السرطانات بأنواعها.

٥- فائدة الحجامة في علاج الإدمان على الخمور أو المخدرات أو التدخين.

٦- إجراء أبحاث لمعرفة تأثير الحجامة على أمراض العصر مثل الشيخوخة المبكرة والزهايمر (الخرَف) والشيب المبكر...

خاتمة

إن تنقية الدم من الخلايا التالفة يؤدي إلى سهولة جريانه عبر القلب، وبالتالي يكون أداء القلب أفضل، وإذا علمنا أن الحجامة تزيل الخثرات الدموية العالقة على جدران الأوعية فإن هذا يعني أن الحجامة تقي من الجلطات القلبية وتحسّن نظام عمل القلب وبالتالي تطيل العمر!

تعالج الحجامة الضعف العام

وأنصح بالاستماع إلى القرآن، فقد أثبتت الدراسات أن الترددات الصوتية تنشط خلايا القلب، وتساعد على استقرار عمله. يقول تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨].

وصدق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عندما قال: (إن كان في شيء من أدويتكم من خير ففي شرطة محجم) [رواه البخاري ومسلم].

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.kaheel7.com

المراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. صحيحي البخاري ومسلم.
٣. الموسوعة البريطانية ٢٠٠٩.
٤. العلاج بالحجامة والقسط البحري، الدكتور محمد نزار الدقر، دمشق.
٥. كتاب "عالج نفسك بالقرآن" للباحث عبد الدائم الكحيل.
٦. الدواء العجيب، دراسة لفريق طبي سوري، جمع عبد القادر يحيى، دمشق ٢٠٠١.
٧. الحجامة الحديثة، الدكتورة هيلينا عبد الله، القاهرة ٢٠٠٢ .
٨. معجزة الشفاء بالحجامة وكاسات الهواء، أيمن الحسيني، مكتبة القرآن، القاهرة ٢٠٠٣.
٩. الطب النبوي والعلم الحديث، الدكتور محمود ناظم النسيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١.
١٠. التداوي بالحجامة، الدكتور أحمد حفني، المركز العربي للعلاج الطبيعي بالقاهرة .
١١. الجراحة الصغرى، الدكتور وليد نحاس – جامعة دمشق ١٩٨٦ .
١٢. بحث "قوة الشفاء بالقرآن" – عبد الدائم الكحيل.

1. Immunomodulatory effects of blood letting cupping therapy in patients with rheumatoid arthritis، http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/17977209
2. Cupping Takes The Pain Away، http://www.cbsnews.com
3. Simon Heather، The Healing Power of Sound، www.positivehealth.com
4. Brain and Sound Frequencies، NEW YORK TIMES: SCIENCE SECTION 1989.

الدعم الصحي والنفسي للحجامة: يستعان بالعسل وقراءة القرآن

جوانب من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجالي التطهير والتعدين

د. محمد بن الهادي الشيخ*

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الآية١٧ من سورة الرعد).

مقدمة:

تمثل هذه الدراسة محاولة لإعطاء تفسير علمي لهذه الآية مع مراعاة ضوابط تفسير القرآن الكريم بعيداً عن التأويل أو تحميل النص ما لا يطيق. وقد كشفت النقاب عن بعض جوانب الإعجاز العلمي في مجالي التطهير والتعدين.

في المقطع الأول تحدثت الآية الكريمة عن عملية سيلان الأودية إثر نزول المطر. وفي هذا إشارة إلى ظاهرة بيئية لم يكتشفها العلماء إلا في السنوات الأخيرة وهي ظاهرة التطهير الذاتي للمسطحات المائية. وهي عبارة عن مجموعة من الأساليب الهيدرولوجية والفيريوكيمائية والبيولوجية تتفاعل مع بعضها البعض لتقوم بتصفية المياه من ملوثاتها العضوية.

فينتج عن هذه العملية ماءً صافياً صالحاً للشراب ينفع الناس. وزبد يعلوه يطرح ويلقى لأنه لا فائدة فيه. وقد اقتبس العلماء هذه الظاهرة الطبيعية وطوروا أساليبها تكنولوجيا وطبقوها ميدانيا في شكل محطات لتطهير المياه المستعملة.

في المقطع الثاني من الآية الكريمة وفي نفس السياق تحدث القرآن عن عملية التعدين التي تبدو في ظاهرها عملية فيزيائية بحتة وهي المعاملة الحرارية لاستخراج المعادن. وينتج أيضًا عن هذه العملية معادن صافية يستفاد بها للحلية والمتاع من ناحية وزبد يطرح ويلقى من ناحية أخرى. لكن في الآن نفسه ركزت الآية الكريمة على مثلية الزبد (زبد مثله) الناتج عن كلا العمليتين: التطهير والتعدين في حين أن الأساليب المستعملة مختلفة تماماً في المعاملة الأولى والثانية. وبالتالي لا يمكن مماثلة الزبد إلا من حيث أنه خبث يطرح ويلقى. إلا أن سياق الحديث في الآية ودقة القرآن في لفظ «مثله» يأبى هذه المماثلة الضعيفة. فجاءت الاكتشافات العلمية الحديثة في مجال هندسة الأساليب والتعدين لتؤكد إمكانية استخراج المعادن بأساليب هيدرولوجية وفيزيولوكيمائية وبيولوجية ينتج عنها زبد يشبه تماماً الزبد الذي ينتج عن عملية التطهير الذاتي التي تحدثت عنها الآية في المقطع الأول.

وهذا يمثل قمة في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فمن أعلم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منذ ١٤ قرنًا بهذه الأساليب في مجالي التطهير والتعدين التي لم يكتشفها العلم الحديث إلا في السنوات الأخيرة.

حقاً إنه القرآن الكريم وإنه الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى وصدق الله العظيم.

مفهوم الآية في كتب التفسير

قوله تعالى أنزل من السماء ماء يعني: المطر فسالت أودية وهي جمع واد، وهو منفرج بين جبلين يجتمع إليه ماء المطر فيسيل بقدره أي: بمبلغ ما تحمل، فإن صغر الوادي، قل الماء، و إن هو اتسع، كثر، وقرأ الحسن وابن جبير، وأبو العالية، وأيوب، وابن يعمر، وأبو حاتم عن يعقوب: «بقدرها» بإسكان الدال. وقوله: «فسالت أودية توسع في الكلام والمعنى: سالت مياهها، فحذف المضاف، وكذلك قوله: «بقدرها» أي بقدر مياهها فاحتمل السيل زبداً رابياً أي، عالياً فوق الماء، فهذا مثل ضربه الله.

ثم ضرب مثلاً آخر، فقال ومما يوقدون عليه النار قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن يعمر. وقرأ أبن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم « توقدون عليه» بالتاء. وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء. قال أبو علي: من قرأ بالتاء، فلما قبله من الخطاب، وهو قوله: «أفاتخذتم « و يجوز أن يكون خطابًا عاماً للكافة، ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله: « أم جعلوا لله شركاء». ويعني بقوله « و مما يوقدون ما يدخل إلى النار فيذاب من الجواهر «ابتغاء حلية « يعني : الذهب والفضة «أو متاع» يعني الحديد والصفر والنحاس والرصاص تتخذ منه الأواني والأشياء التي ينتفع بها، « زبد مثله « أي له زبد إذا أذيب مثل زبد السيل، فهذا مثل آخر. وفيما ضرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن: شبه نزوله من السماء بالماء. وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيسكن فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن الكريم لمكان شكه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد وكخبث الحديد لا ينتفع به. والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل المشبه بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيمحق كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال فإن الله سيبطله. والثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن واعتقاده وعمله كالماء المنتفع به، ومثلا الكافر واعتقاده وعمله كالزبد.

قوله تعالى ﴿*كذلك*﴾ أي: كما ذكر هذا يضرب الله مثل الحق والباطل، وقال أبو عبيدة: كذلك يمثل الله الحق ويمثل الباطل. فأما الجفاء، فقال ابن قتيبة : هو ما رمى به الوادي إلى جنباته، يقال : أجفأت القدر بزبدها إذا ألقته عنها. قال ابن فارس: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجفاء. وقال ابن الأنباري: « جفاءً « أي: باليا مفرقا قال ابن عباس: إذا مسّ الزبد لم يكن شيئا.

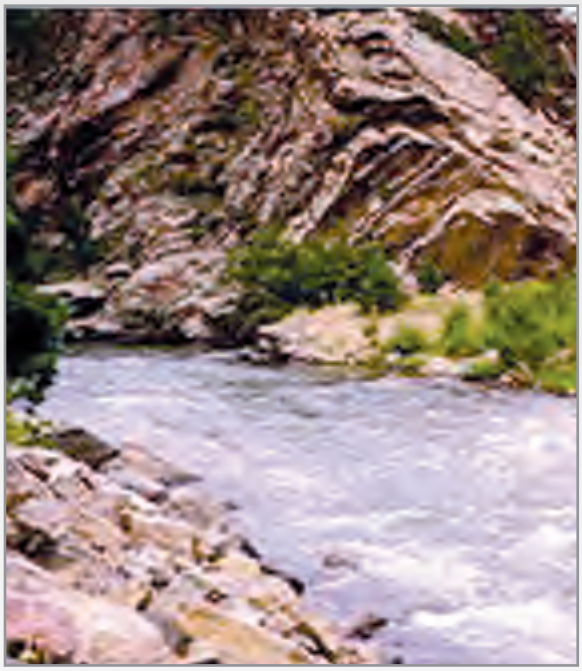

وقوله تعالى : ﴿*وأما ما ينفع الناس*﴾ من الماء والجواهر التي زال زبدها ﴿*فيمكث في الأرض*﴾ فينتفع به كذلك يبقى الحق لأهله.

المدلولات العلمية للآية ومظاهر الإعجاز بها

تحدثت هذه الآية في المقطع الأول عن ظاهرة طبيعية عادية ومألوفة ومشاهدة: وهي سقوط المطر وجريان الأودية على إثره وامتلائها بالماء على اختلاف أحجامها وسعتها. فنتج عن عملية السيلان هذه احتمال السيل للزبد أي ظهور الزبد جاء كنتيجة لعملية السيلان. والزبد هو الغثاء والرغوة التي تطفو على الماء الجاري. لقد تطرقت الآية إلى عوامل فيزيائية وكيماوية صارت في وقتنا الحاضر علومًا مستقلة بذاتها مثل

الهيدرولوجيا والهيدروديناميك وعلم الترسبات وعلوم التربة والتفاعلات الكيماوية في المحاليل المائية. كما أن الغوص في أعماق هذه الآية يقودنا إلى الأخبار عن عامل بيولوجي جد هام لم يكتشف إلا مؤخرًا وهي ظاهرة بيولوجية تسمى التطهير الذاتي للمسطحات المائية مثل الأودية والأنهار والبرك والبحيرات بصفة عامة والمجاري المائية بصفة خاصة بواسطة الكائنات المجهرية مثل البكتيريا والفطريات. لقد أثبت العلم الحديث أن مياه الأودية تحتوي أعداداً هائلة من هذه الكائنات التي تقوم بأكسدة المواد العضوية الملوثة باستعمال الأكسجين الهوائي الذي يتحول إلى فقاعات هوائية صغيرة من خلال حركة السيلان القوية حيث يمتزج الماء بالهواء الذي يحتوي الأكسجين الهوائي في شكل غاز ثم يصير سائلاً في الماء قابلاً للاستعمال من طرف الكائنات الحية التي تحتويها مياه السيل والتي تقوم بأكسدة المواد العضوية الملوثة التي احتملتها مياه الأمطار إلى أحواض ومجاري الأودية. وتنتج عملية الأكسدة هذه تحول الملوثات إلى غاز ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء في شكل فقاعات هوائية تتبخر في الجو: الرغوة الطافية أي الزبد.

تتم هذه العملية طيلة سيلان المياه وتبدأ الكائنات الحية عملها من بداية الوادي حيث تكون المياه جد ملوثة ومحملة بالمواد العضوية التي احتملتها مياه الأمطار من الأراضي القريبة. وفي نهاية الوادي حيث المصب تكون المياه قد تطهرت من هذا التلوث العضوي فتصبح صالحة للاستعمال البشري وتنفع الناس. وقد أكدت التحاليل المخبرية نجاعة ظاهرة التطهير الذاتي للأودية والمجاري المائية وأصبحت مقاييس(oxygen chemical DCO &DBO) (oxygen biological demand) في عينات مياه المجاري عملية روتينية لتصنيف المياه الملوثة أو النقية. إذن عملية التطهير الذاتي في الأودية هي نتاج مجموعة عوامل فيزيائية (السيلان وتخليط المياه وتحول الغاز إلى سائل) وبيولوجية (دور الكائنات المجهرية) وكيمائية (التفاعلات الكيمائية والأكسدة). وبضدها تتضح الأشياء، فالمياه الراكدة تكون ملوثة ومتعفنة ذات روائح كريهة وتتسبب في انتشار الأمراض والأوبئة، وعلى العكس تكون ضارة للناس وغير نافعة. ومن هنا اقتبس العلماء ظاهرة التطهير الذاتي الطبيعية وطوروها وأخضعوها إلى تكنولوجيا العصر. فأوجدوا محطات التطهير للمياه المستعملة والتي تعتمد على نفس المبادئ والعوامل الفيزيائية والكيمائية والبيولوجية التي تقوم عليها ظاهرة التطهير الذاتي الطبيعية. كما أن النتيجة واحدة: زبد يطفو ويذهب جفاءً وما ينفع الناس هو الماء لسقي المسطحات الخضراء والمنتزهات وأيضًا الأوحال أو مخلفات محطات التطهير التي تستعمل كأسمدة نافعة للتربة فتقويها وتزيد من غناها والرفع من أنتاجها وهذا ما ذكرته الآية الكريمة : « فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» صدق الله العظيم. فالزبد أو الرغوة يذهب في الجو ويتبخر بالرغم من انتفاخه وعلوه على مياه السيل. مثله مثل الباطل في علوه على الحق ثم أفوله مثل النجم الآفل. وأما ما ينفع الناس فهو الماء الذي مر بعملية التطهير فصار صالحاً للاستعمال البشري كالشرب والسقي وتخلص من ملوثاته العضوية. ثم مكث في الأرض وتسرب إلى باطنها فصار يغذي المائدة والآبار، وهو قي نفعه ودوامه واستمراره مثل الحق في ثباته وصموده تجاه الباطل. وأيضا ما ينفع الناس فهو الطين والدبال والأملاح المعدنية التي تمتزج فيما بينها فتعطي تربة جد خصبة تنفع للاستعمال الفلاحي لأنها تمتاز

بخاصيات كيميائية وفيزيائية جيدة مثل القوام (texture) و(structure) غناها بالمعادن مثل الحديد والمنغنيز والفسفور. وهذا يعود أساسًا إلى تكون ما يعبر عنه (complexe argilo humique) وهو أن الطين يلتحم بالدبال (ذات شحنة سالبة) بواسطة المعادن مثل الحديد ذات الشحنة الموجبة (+Fe2)، والذي قال عنه القرآن الكريم: « فيه منافع للناس» وهذا إعجاز آخر أيضًا، وإشارة جد هامة إلى علم الترسبات (sedimentology) وعلم الأرض (pedology).

وبصفة عامة مثلا في الصحاري والمناطق الجافة نلاحظ أن المجمعات السكنية والواحات والأنشطة الفلاحية تتمركز حول الوديان لغناء التربة بها ووفرة المياه وقربها من سطح الأرض.

ويقول الله تعالى بعد أن ذكر هذه الظاهرة ﴿ *ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله* ﴾ هنا انتقل سياق الآية إلى ميدان آخر في ظاهرة بعيد كل البعد عن هذه الظاهرة الطبيعية. فهي تتحدث عن ميدان الميتالورجيا «علم المعادن والتعدين» وهو ميدان بعيد عن الهيدرولوجيا التي تحدث عنه المقطع السابق من الآية. والسؤال الذي يطرح هنا : ما هو وجه المقارنة بين هذين المجالين وهذين المقطعين من الآية. فنقول إن العلاقة بينهما عبارة «زبد مثله». فمماثلة الزبد هو الرابط بين المقطعين. في ظاهر الأمر تبدو العلاقة كما يلي: ففي الطريقة العادية أو الكلاسيكية التي تتم بها في القديم فصل المعادن هي الطريقة الحرارية (pyrometallurgy) أي التسخين إلى درجة حرارية معينة لإذابة المعدن الذي نريد استخلاصه ثم تنقيته من الشوائب وإزالة الخبث الذي يطفو عليه وهو أيضًا يشبه الزبد الناتج عن عملية السيلان الذي تحدثت عنه الآية سابقًا من حيث أنه يطرح ولا ينتفع به.

لم تتضح قصة زبد المعادن إلا في العصور الحديثة

لكن يبدو أن مجال المقارنة بعيد وأن الزبد الناتج عن المعاملة الأولى (التطهير الذاتي التي ترتكز على العوامل الهيدرولوجية والفيزيائية والبيولوجية والكيميائية) والمعاملة الثانية

ما العلاقة بين زبد السيل وزبد المعادن المسيّلة في آية واحدة؟

(الحرارية وهي فيزيائية بحتة) لا يتشابهان تمامًا في حين أن القرآن الكريم قال : «زبد مثله» وأركز على كلمة مثله، ففي ذكر كلمة مثله إشارة إلى نفس التقنية أو المعاملة وهي المعاملة الهيدرولوجية والكيميائية والبيولوجية في نفس الوقت، في حين أنه آنذاك لا يوجد طريقة أخرى لاستخراج المعادن غير الطريقة الحرارية التي أشارت إليها الآية الكريمة.

لكنه «لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى» إذن كيف يمكن الجمع بين الأمرين المتناقضين ظاهريًا. فالله سبحانه وتعالى الذي خلق الكون هو أدرى به وأعلم بكل صغيرة وكبيرة فيه، وان كان العقل البشري قاصرًا على فهم هذه الأشياء. «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا». وكما هي العادة تأتي الاكتشافات العلمية والحقائق المعرفية لتؤكد وتؤيد ما قاله الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم على لسان رسوله الأمين الصادق المصدوق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام منذ ١٤ قرنًا. فقد أثبت العلم الحديث أنه من الممكن استخلاص المعادن بطرق مختلفة عن الطريقة الحرارية العادية وهذه الطرق الجديدة تعتمد على العوامل الهيدرولوجية والكيميائية والبيولوجية كما هو الحال في المعاملة الأولى التي ذكرتها الآية الكريمة وهي التطهير الذاتي. فمع تطور علم الكيمياء والتفاعلات الكيميائية واختراع الحوامض مثل الحامض الفسفوري والكلوريدري اكتشف العلماء أنه يمكن إذابة المعادن في المحاليل التي تكون نسبة الحموضة فيها مرتفعة. ومن ثم أمكن استخراج المعادن بالمناجم بالطريقة الهيدرولوجيا (hydrometallurgy)عوضًا عن الطريقة الحرارية(pyrometallurgy) وهذه الطريقة تسمى (chemical leaching) لأنها تعتمد على المواد الكيمائية مثل الحوامض لإذابة المعادن في المحاليل ومن ثم استخراج المعادن من هذه المحاليل بطرق شتى مثل Electrodialyse) (Electrodéposition – وطبقت هذه الطريقة في كهوف المناجم وتم اعتمادها كطريقة أساسية لاستخراج المعادن بالمناجم.

وسرعان ما ظهرت مشكلة بيئية وهي ما يعبر عنها بمشكلة (MAD : drainage acide des minerais) وهي سيول حمراء اللون حامضة يطفو فوقها زبد مثل زبد السيول العادية وتسبب هذه السيول تلوث التربة والمجاري المائية بالمعادن الثقيلة لأن هذه السيول تحتوي كميات كبيرة من المعادن بسبب حموضتها العالية كما أنها تتسبب في حموضة المياه السطحية وبالتالي الإضرار بالكائنات الحية المائية والتوازن البيئي.

وفي سنة ١٩٤٧ قام العالم كولمار بأبحاث معمقة حول هذه MAD واكتشف نوع من البكتيريا سماها Thiobacillus (Tf) ferrooxidans وقام بعزلها في مناجم النحاس والزنك وتقوم هذه البكتيرية بالتعاون مع أصناف بكتيرية أخرى مثل (Tt) Thiobacillus thiooxidans و Leptospirillum (Lf) ferrooxidans بأكسدة المعادن الكبريتية الموجودة بالمناجم إلى معادن كتيونية في ظروف من الحموضة المرتفعة مع وجود تهوئة أو أكسجين. ومنذ ذلك الحين طور العلماء استعمال هذه الأصناف في مجال البيوتكنولوجيا وصار تطبيقه رائجًا جدًا في مناجم الذهب والنحاس والزنك لأنها تقنية سهلة غير مكلفة ولا تضر بالبيئة خاصة في المناجم الفقيرة التي تكون نسبة المعادن فيها ضعيفة. وأخذت هذه الطريقة البيولوجية تعوض شيئًا فشيئًا الطريقة الكيميائية الكلاسيكية التي تستهلك كميات كبيرة من الحوامض والتي تؤدي إلى تلوث البيئة بالحموضة والمعادن الثقيلة. وحسب التقديرات الحالية فان ربع كمية النحاس والزنك المستخرجة من المناجم تعتمد على هذه التقنية البيولوجية الجديدة. والبحث العلمي في هذا المجال متواصل لتطوير هذه التقنية والإحاطة بكل إيجابياتها الاقتصادية والبيئية.

ومن العجيب أن هذه الطريقة الهيدروبيولوجية لاستخراج المعادن تشبه تمامًا طريقة التطهير الذاتي للأودية، ففي المناجم التي تعتمد هذه الطريقة يتم تكديس تربة المناجم في الهواء الطلق ثم تسقى هذه الأكداس بمحلول يحتوي على خليط من البكتيريا، بطريقة كنزول المطر، ثم تتم عملية الأكسدة. وتعمل البكتيريا لتحليل المعادن في شكل سائل حامض غني بالمعادن يشبه تمامًا سيل الوادي ويعلوه زبد وخبث يشبه تمامًا زبد السيل.

ثم يتم تجميع هذا السائل واستخراج المعادن التي تنفع الناس بوسائل عدة مثل الإلكتروديبوزيسيون (electrodeposition). أما ذلك الخبث والزبد فيطرح ويذهب جفاء. وهذا مصداقًا لقوله «زبد مثله» أي نتاج عملية السيلان والأكسدة مثل زبد السيل. وأيضًا مصداقًا لقوله «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض أي ذلك السائل الغني بالمعادن. ومن العجيب أيضًا أن ذلك السائل يكون لونه بنيًا تمامًا مثل سيل الوادي ويحتوي على معدن الحديد الذي يعطي هذا اللون الأحمر. وهو نتاج أكسدة الحديد بواسطة البكتيريا. فقد قال الله تعالى عن الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس. والملاحظ أيضا أن تلك البكتيريا تعتمد على الحديد بشكل أساسي.

الزبد في الحالتين لا قيمة له

كما أن هذه الطريقة تستعمل في مناجم الذهب (الحلية) والنحاس والزنك (متاع) كما ذكر في الآية (ابتغاء حلية أو متاع). ففي كندا مثلاً والولايات المتحدة يوجد نوع من المناجم التي لا يمكن استخراج الذهب إلا بهذه الطريقة مثل (minerais aurifères réfractaires arsenicaux) وفي حال استعمال الطرق الأخرى تكون جد مكلفة وملوثة للبيئة.

وإضافة إلى مجال التعدين، فإن العلماء قد طوروا هذه الطريقة وطبقوها في ميدان التطهير فصارت من أهم الأساليب البيولوجية المعتمدة لتطهير المواد الصلبة الملوثة بالمعادن الثقيلة مثل التربة والتربة المائية والأوحال ومخلفات محطات التطهير والمركبات الصناعية. وقد أثبتت الأبحاث في مجال البيوتكنولوجيا مدى نجاعة هذه البكتيريا في تطهير هذه المواد من ملوثاتها المعدنية بواسطة أسلوب (Bioleaching) وسهولة هذه الطريقة وزهادة كلفتها. قام العلماء المختصون بتصميم مفاعلات بيولوجية (Bioreactor) خاصة بهذا الغرض

البيئي حيث تتوفر جميع الظروف الملائمة للبكتيريا للقيام بواجبها على أحسن وجه.

خاتمة

لقد كشفت هذه الدراسة عن بعض جوانب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجالي التطهير والتعدين. وأعطت تفسيرًا علميًا للآية ١٧ من سورة الرعد معتمدة في ذلك على حقائق علمية تم اكتشافها مؤخرًا و أثبت البحث العلمي مدى صحتها و نجاعتها في الواقع.

جريان الماء في الأودية يؤدي إلى تطهيرها ذاتياً

و قد تبين من خلال هذه الدراسة أن القرآن الكريم أشار إلى ظاهرة التطهير الذاتي للمسطحات المائية التي اكتشفها العلماء مؤخرًا. وهي مجموعة أساليب هيدرولوجية، فيزيوكيمائية وبيولوجية لتنقية المياه الملوثة عضويًا. وينتج عن هذه العملية ماء صاف ينتفع به الناس وزبد يطرح لا فائدة فيه. وفي اقرار الآية مماثلة الزبد الناتج عن عملية التطهير (زبد مثله) للزبد الناتج عن عملية التعدين، جوانب هامة من الإعجاز العلمي للقرآن. فهذه المماثلة في الزبد تقتضي ضمنيًا مماثلة الأساليب التي ينتج عنها هذا الزبد، في حين أنه آنذاك لم يكن العقل البشري يدرك إلا المعاملة الحرارية لاستخراج المعادن وهي عملية فيزيائية بحتة. ولقد بينت هذه الدراسة أنه فعلاً في العقود الأخيرة اكتشف العلماء أساليب هيدرولوجية وفيزيوكيميائية وبيولوجية في مجال التعدين تشبه تلك التي تستخدم في مجال التطهير و تنتج بدورها زبدًا يشبه تمامًا الزبد الذي تنتجه عملية التطهير. حقًا إن القرآن معجز لا تنضب عجائبه ولا تنتهي مظاهر إعجازه في شتى الميادين العلمية.

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

المراجع:

١- القرآن الكريم
٢- تفسير الجلالين الجلال الدين السيوطي
٣- تفسير إبن كثير: للإمام ابن كثير
٤- صفوة التفاسير : الصابوني
٥- زاد المسير في علم التفاسير للأمام غبن الجوزي.
Barrett, J., Hughes, M. N., Karavaiko, G. I. and Spencer, P. A.: 1993, Metal Extraction by Bacterial Oxidation of Minerals, Eillis Horwood, Chichester.
E. Torma and J. A. Brierley (eds), Metallurgical Application of Bacterial Leaching and Related Microbiology Phenomena, Academic Press, New York, pp. 232–250.
Tyagi, R. D. and Couillard, D.: 1987, 'Bacterial leaaching of metal from digested sewage sludge', Process Biochemistry 22, 114–117.
Wong, L. and Henry, J. G.: 1988, 'Bacterial Leaching of Heavy Metals from Anaerobically Digested Sludge', in D. L. Wise (ed.), Biotreatment Systems, Vol. II, CRC Press, Boca Raton, FL, U.S.A., pp. 125–169.
Xiang, L., Chan, L. C. and Wong, J. W. C.: 2000, 'Removal of heavy metals from anaerobically digested sewage sludge by isolated indigenous iron-oxidizing bacteria', Chemosphere 41, 283–287.
Tyagi, R. D. and Tran, F. T.: 1991, 'Microbial leaching of metals from digested sewage sludge in continuous system', Environmental Technology 12(4), 303–312.
Blais, J. F., Tyagi, R. D. and Auclair, J. C.: 1992a, 'Bioleaching of metals from sewage sludge by sulfur-oxidizing bacteria', Journal of Environmental Engineering 118, 690–707.
M. Salim Oncen, Mahir Ince, Mahmut Bayramoglu, leaching of silver from solid waste using ultrasound assisted thiourea method. Ultrasonic Sonochemistry 12 (2005) 237242–.
Silverman P, Lindgren DG. Studies on chemoautotrauphic iron bacterium ferrobacillus ferrooxidans. J bact 1969; 77:6427–
Gormely S, Duncan DW, Brassion RMR, Pinder KL. Continuous culture of Thiobacillus ferrooxidanson zinc sulphate concentrate. Biotech Bioeng 1975; 17:31–

« الإعجاز »
دينية علمية غير سياسية.
تبحث في إعجازَيْ القرآن الكريم
والسنة النبوية الشريفة.
يساهم في إعدادها باحثون ومفكرون لبنانيون.
لا تتوخى الربح والاشتراك فيها مجاني.
ما على الراغبين بالحصول على نسخة منها
سوى مراجعة مركز المنتدى وتزويده
باسم الشخص أو المؤسسة وعدد النسخ
المطلوبة مع ذكر العنوان ورقم الهاتف.

من دلائل القدرة الإلهية في تكيفات النباتات الأرضية

د. نظمي خليل أبو العطا موسى*

صورة لنبات صحراوي تحورت أوراقه إلى أشواك للحفاظ على الماء في الصحراء

يدعي الدارونيون أن الحياة خلقت على الأرض بالمصادفة والعشوائية وتطورت بالطفرة والانتخاب الطبيعي وأنه لا خالق للكون ولا مدبر ولا حكمة في الخلق.

والله سبحانه وتعالى أنبأنا أنه الخالق البارئ المصور، خلق المخلوقات بقدرته ومشيئته وعلمه وتقديره وأن كل شيء في الكون خلق بقدر معلوم ومحكوم فقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٩). أي: «خلقه بقضاء سبق به علمه وجرى به قلمه بوقته ومقداره وجميع ما اشتمل عليه من الأوصاف»[1]. وقال أيضًا: «وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلية والسفلية، أن الله وحده خلقها، لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقه».

«رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»

وقال سبحانه: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه/٥٠).

«أي ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به (الدال) على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهداه الهداية الكاملة المشاهدة في جميع المخلوقات... فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة»[٢].

وإذا دققنا في النباتات الأرضية وجدنا هناك توافقًا معجزًا بينها وبين البيئات الأرضية التي شاء الله سبحانه وتعالى أن تعيش فيها، فالنباتات التي تعيش في الماء تختلف في صفاتها الظاهرية والتشريحية والوظائفية عن نباتات البيئة الجافة والنباتات الوسطية.

ففي النباتات الوسطية (Mesophytes) نجد الجذور الأرضية المتناسبة مع طول المجموع الخضري للنبات، وعدد أوراقه وأزهاره وثماره، ومدة تعميره على قيد الحياة، فهناك الجذور القصيرة الوتدية والقصيرة الليفية، وهناك الجذور الوتدية العميقة والجذور المتشعبة تحت الأرض، والجذر يتجه دائما نحو الأرض بالانتحاء الأرضي والانتحاء المائي.

خلق لكل بيئة نباتاً يتوافق معها

أما المجموع الخضري فمتلائم تمامًا مع البيئة الوسطية في مياهها، وحرارتها، وضوئها، فالساق قائمة قوية أو ضعيفة، خشبية أو عشبية، مصمتة أو مجوفة حسبما يجب أن تعيشه على الأرض، وما تحمله من أوراق وأزهار وثمار والأفرع الجانبية في كل مكان تنمو في وسطية وتحمل الأوراق العادية المفلطحة الخضراء في وضع أمثل للقيام بعملية البناء الضوئي وهي دائمة الخضرة، متساقطة أو غير متساقطة والساق ملساء أو عليها أشواك للتسلق أو يتحور بعض أوراقها أو أطرافها إلى معاليق تتعلق بها وتتسلق إن كانت ساقًا ضعيفة وهي تزهر وتثمر في ميقات محدد.

وفي نباتات الظل الأرضية نجد الأوراق قد تفلطحت لاستقبال أكبر كمية من الضوء وهي تتجه نحو الضوء

صورة لاحد النباتات الوسطية

صورة لاحد نباتات الظل حيث تفلطحت أوراقها لاستقبال أكبر كمية من الضوء

صورة لنبات قصب الرمال

صورة لنبات الدفلة الصحراوي

صورة لنبات السلة الشوكي

في انتحاء ضوئي عجيب، وفقدت الأوراق عادة طبقتها العمادية الداخلية وانتشرت البلاستيدات الخضراء في خلاياها الوسطية الإسفنجية لكي تقتنص الطاقة ولا حاجة إلى الطبقة عمادية الخلايا الحامية للورقة من كميات الضوء الزائدة.

وفي البيئة الصحراوية الجافة القاسية في الحرارة وشدة الرياح هيأ الله سبحانه وتعالى هذه النباتات لمجابهة هذه البيئة القاسية، فتحولت أوراقها الخضراء الرقيقة إلى أشواك أو أوراق حرشفية، وقامت السيقان بالتفلطح واحتواء البلاستيدات الخضراء للقيام بعملية البناء الضوئي. وخلق الله سبحانه وتعالى في سيقانها خلايا برانشمية تحوي مواد مخاطية محبة وممسكة بالماء للاحتفاظ به، وقد غلف الله سبحانه وتعالى تلك السيقان بطبقة كيوتينية شمعية لتحول دون فقدها للماء، وخلق لها جذورًا طويلة عميقة لتستطيع الحصول على الماء من تلك البيئة الجافة القاسية.

ولما كان النتح معظمه عن طريق الأوراق لذلك جعل الله سبحانه وتعالى أوراق النباتات الصحراوية متلائمة مع البيئة حيث تتساقط تلك الأوراق بعد مدة قصيرة كما هو الحال في نبات العاقول (Alhagi marurnuw)، وقد تنعدم الأوراق نهائيا وتحل الساق محلها في عملية البناء الضوئي كما في نبات الرتم (Retama raetam) وأحيانا يلف النبات أوراقه كما يلف السيجار ليمنع فقدان الماء من السطح العلوي للورقة الذي اخفي في الداخل بعملية اللف المعجزة والعجيبة كما هو الحال في نبات قصب الرمال (Ammophila arenaria).، وبعض النباتات يحيط بثغورها أوبار نباتية أو شعيرات تزيد من تراكم الماء حول الثغر وبذلك يقل النتح كما في نبات الدفلة (Narum olender)، و يتحول بعض الأجزاء الخضرية المفلطحة إلى أشواك كما هو الحال في نبات السلة .(Zilla spinosa)وتتخذ بعض النباتات الصحراوية شكلا كرويا يساعدها على تحمل الرياح الشديدة والمحملة بالرمال.

وتعتمد كثير من النباتات العادية في دعامتها – وخاصة العشبية منها – على تصلب خلاياها بالانتفاخ وضغط الامتلاء الحادثين من امتصاص الماء، ولذلك نجد أن النباتات الصحراوية تعتمد في تدعيمها على أنسجة دعامية ميتة تتحمل الجفاف ولا تتهدل عند فقدانها للماء.

فمن خلق هذا التكوين المعجز المتلائم مع البيئة؟ ومن قدر لهذا النبات الضعيف هذه التراكيب والمركبات والسلوكات العجيبة؟

يتكيف الجذر حسب انحناء الأرض وباتجاه مصدر الماء

يدعي الدارونيون أنها المصادفة والانتخاب الطبيعي خلقا هذه التراكيب والمركبات والسلوكيات ولكن الإبداع في الخلق والتقدير في السلوك والحكمة في التركيب كلها عوامل تتنافى مع المصادفة

والعشوائية وتتوافق مع العلم والحكمة والتقدير في الخلق، وهذا كله لا يتأتى إلا من خالق، عليم خبير، مبدع، لطيف.

وفي النباتات المائية، حيث الوسط المائي وتوافر المياه فان النباتات لا تحتاج إلى طبقة أدمة سميكة تحمي تراكيبها الداخلية من الجفاف، وهذا ما نراه حقيقة واقعة في تلك النباتات، وهي لا تحتاج في أوراقها وسيقانها إلى خلايا عمادية تلي البشرة الخارجية مباشرة تحميها من أشعة الشمس وقوتها، ولها في الداخل خلايا برانشمية محتوية على البلاستيدات الخضراء الكثيفة لاقتناص اقل كمية من الضوء، وتحتوي في داخلها على فراغات هوائية كبيرة وعديدة مهمتها تخزين الهواء للانتفاع بما فيه من ثاني أكسيد الكربون في البناء الضوئي ومن أكسجين في التنفس الهوائي، كما أن هذه الفراغات تعمل كعوامات لتعويم النباتات ولبعضها مثانات هوائية مليئة بالهواء تعمل أيضا عوامات للنبات.

تتوجه الأوراق نحو مصدر الضوء بنظام عجيب

وللنباتات المتطفلة التي لا تنتج غذاءها بالبناء الضوئي ممصات تدخلها إلى داخل أنسجة العائل ثم تبدأ امتصاص الغذاء الجاهز والماء من العائل.

وللنباتات الزهرية أزهار تكيفت مع التلقيح الحشري ونقل حبوب اللقاح من نبات لآخر وهي تنتج الرحيق ذا الرائحة المميزة والجاذبة لجذب الحشرات إليها لنقل حبوب لقاحها بين الأزهار المختلفة للجنس الواحد والنوع الواحد. ولبعضها ميازيب طويلة يتجمع فيها الرحيق حتى يتمكن بعض الفراش من إدخال خراطيمه فيه وامتصاص الرحيق ونقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى، وبعض النباتات تكيفت للعيش في الغابة وتسلق جذوع الأشجار بالالتفاف والمعاليق أو المحاليق للوصول إلى الضوء والوضع الأمثل للإزهار والإثمار وبقاء النوع. وبعض النباتات تعيش على قمم الأشجار في الغابات حيث الضوء والوضع الأمثلان للنمو والإزهار والإثمار.

نبات الصحراء يحفظ الماء ويحول دون خروجه

ولبعض النباتات المغمورة في الماء في تربة شحيحة بالأكسجين ممصات تطلقها إلى أعلى فوق سطح الماء لتحصل على كفايتها من الأكسجين اللازم لتنفس الجذور والنبات.

لبعض النباتات أشواك حادة تحول دون الرعي الجائر والقطع الجائر وتحد منهما بقاء لجنسها ونوعها.

وبعض النباتات لها غدد تفرز بعض المواد السامة والمنفرة للحيوان حماية لنفسها منه.

ولبذور وثمار بعض النباتات تراكيب تحولها إلى سابحات في الهواء، ولبعضها خطاطيف وأشواك تتعلق بها في أصواف وأشعار وأوبار الحيوان وملابس الإنسان لتنقل إلى مسافات بعيدة بحثا عن الغذاء في ارض الله الواسعة. ولبعض النباتات آليات وتراكيب تدفع بالبذور إلى مئات الأمتار بعيدًا عن النبات الأم. ولبعض البذور والثمار جدر سميكة مقاومة للعصارة الهاضمة لمعدتي الإنسان والحيوان حتى إذا أكلا ثمارها نقلا بذورها إلى مسافات بعيدة يقضيان فيها حاجته ويتبرزان فيها.

تحتمي نباتات بالأشواك كي لا تأكلها الماشية

إنه عالم التحورات النباتية المعجز والمبدع الذي يعلن أن للكون خالقًا عليمًا لطيفًا قديرًا خلق كل شيء بقدر ولغاية مقدرة وبحكمة بالغة.

---

* أستاذ علوم النبات في الجامعات المصرية. أخبار الخليج – الملحق الإسلامي – العدد (١١٩٣٥) – الجمعة ٢٦ نوفمبر ٢٠١٠ الموافق ٢٠ ذو الحجة ١٤٣١ هـ. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

(٢) المرجع السابق/٥٨٦.

خير خلق الله

بقلم أ.ع.

١٧- إهتمامه صلى الله عليه وسلم بالطفولة

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تربى يتيماً، فاقداً لحنان الأب ثم الأم، فإن ذلك لم يترك لديه عقداً من الحقد أو القسوة، بل حباه الله تعالى بمنتهى الحب والعطف والرحمة. وكان أكثر الناس رحمة بالناس، قال تعالى فيه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، وخص الصغار باهتمام بالغ، في ظل بيئة اجتماعية قاسية، يئد فيها الأب إبنته الوليدة ويهمل ولده لينشأ مع قطعان الماشية، فكانت رحمته للأطفال غريبة مستهجنة لدى الأعراب ومعه تطورت وتحسنت نظرة الناس إلى الأسرة وإلى الطفولة بشكل خاص.

كان يلاطف الصغار ويلاعبهم، قال أنس: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا فَقَالَ مَا شَأْنُهُ قَالُوا مَاتَ نُغَرُهُ فَقَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ[١].

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعَلَى ظَهْرِهِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، وَهُوَ يَقُولُ: «نِعْمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا، وَنِعْمَ الْعِدْلَانِ أَنْتُمَا»[٢].

وكان صوت بكاء الأطفال يحزنه لما في قلبه من الرحمة، فقد سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ صَبِيٍّ فِي الصَّلَاةِ فَخَفَّفَ الصَّلَاةَ[٣].

ودَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ صَوْتَ صَبِيٍّ يَبْكِي فَقَالَ مَا لِصَبِيِّكُمْ هَذَا يَبْكِي فَهَلَّا اسْتَرْقَيْتُمْ لَهُ مِنْ الْعَيْنِ؟[٤].

ولم يكن اهتمامه بالطفولة كلاماً بل كانت أعمالاً تدل على رقة أحاسيسه ومشاعره تجاه الطفولة: فقد خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ[٥].

وكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي، فَكَانَ الْحَسَنُ يَجِيءُ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، فَكَانَ كُلَّمَا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَبَ عَلَى رَقَبَتِهِ وَظَهْرِهِ، فَيَرْفَعُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ رَفْعًا رَفِيقًا حَتَّى يَضَعَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَصْنَعُ بِهَذَا الْغُلَامِ شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ تَصْنَعُهُ، إِنَّهُ « رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا، إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَعَسَى أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[٦].

وكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مرة وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا[٧].

ولما عثر الطفل أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عَثَرَ بِأُسْكُفَّةِ أَوْ عَتَبَةِ الْبَابِ فَشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة: أَمِيطِي عَنْهُ أَوْ نَحِّي عَنْهُ الْأَذَى قَالَتْ: فَتَقَذَّرْتُهُ قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُصُّهُ ثُمَّ يَمُجُّهُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً (أنثى)، لَكَسَوْتُهُ وَحَلَّيْتُهُ حَتَّى أُنْفِقَهُ[٨].

وكان صلى الله عليه وسلم ضنيناً بجبر خاطر الفتيات الصغيرات: روت عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ دَعْهُمَا فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِمَّا قَالَ تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ حَسْبُكِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاذْهَبِي[٩].

ويوم هاجر ودخل المدينة المنورة لأول مرة، مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحي بني النجار وإذا جوار يضربن بالدف يقلن: نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « الله يعلم أن قلبي يحبكن»[١٠].

وكان يؤتى بالأطفال حديثي الولادة ليباركهم:

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ (وفي رواية مسلم يبرّك عليهم ويحنّكهم) فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ[١١].

وإذا أوتي بالثمر في أول موسمه، كان يدعو للناس ويخص الأطفال بالباكورة منه:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ فَيَقُولُ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَفِي ثِمَارِنَا وَفِي مُدِّنَا وَفِي صَاعِنَا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنْ الْوِلْدَانِ[١٢].

كان صلى الله عليه وسلم يحض الآباء على العناية بأطفالهم: أبي هريرة قال: كان رجل من الأنصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صبي له، قال: فجعل يضمه إليه ويرحمه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترحمه ؟» ، قال: نعم يا رسول الله، قال: «فالله أرحم به منك، وهو أرحم الراحمين»[١٣].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّل الحسن بن على رضى الله عنهما والأقرع بن حابس التميمي جالس عنده، فقال الأقرع بن حابس: يا رسول الله ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم انسانا قط قال فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان من لا يرحم لا يرحم[١٤].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت جاء اعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتقبّلون الصبيان فما نقبّلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أملك لك إن نزع الله الرحمة من قلبك[١٥].

كما كان يوصي الأمهات بأن يعوّدن أطفالهن على الصدق:

أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ قَالَ فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لِأَلْعَبَ فَقَالَتْ أُمِّي يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِكَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ قَالَتْ أُعْطِيهِ تَمْرًا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ[١٦].

تعلمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحوج الناس إلى العطف والرعاية هم الأطفال، لعجزهم عن قضاء حوائجهم ولحاجتهم إلى التربية والإعداد، والطفولة البائسة تحمل بذور الحقد والفساد والانتقام، ومن أراد أن يطمئن إلى مستقبل الأمة عليه أن يهتم بالطفولة ويرعاها حق رعايتها، وكما نبذر ونزرع، نحصد ونجني.

---

(١) سنن أبي داود – (ج ١٣ / ص ١٤٢) والإمام احمد في مسنده – (ج ٢٤ / ص ٢٤٠)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني – (ج ٣ / ص ٨٧)، عن جابر رضي الله عنه.

(٣) مسند أحمد – (ج ١٩ / ص ٢٥٤)، عن أبي هريرة.

(٤) مسند أحمد – (ج ٤٩ / ص ٤٦٠)، عن عائشة.

(٥) رواه أبو داود في سننه، والترمذي، والنسائي في السنن وأحمد في مسنده

(٦) المعجم الكبير للطبراني – (ج ٣ / ص ٥٨)، عن أبي بكرة.

(٧) صحيح البخاري – (ج ٢ / ص ٣٣٤). عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

(٨) أخرجه أحمد في مسنده– (ج ٥٢ / ص ٣٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان– (ج ٢٢ / ص ٤٠١)، وابن حبان في صحيحه– (ج ٢٩ / ص ١٤٩)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٩) عن عائشة رضي الله عنها،(متفق عليه).

(١٠) دلائل النبوة للبيهقي – (ج ٢ / ص ٣٦٨) عن أنس رضي الله عنه.

(١١) صحيح البخاري – (ج ١٩ / ص ٤٣٨) و صحيح مسلم – (ج ٢ / ص ١٣٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(١٢) صحيح مسلم – (ج ٧ / ص ١١٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٣) شعب الإيمان للبيهقي – (ج ١٥ / ص ١٦٦)، عن أبي هريرة.

(١٤) رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق.

(١٥) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة.

(١٦) مسند أحمد – (ج ٣١ / ص ٣١٤)، عن عبد الله بن عامر.

آزر أبو إبراهيم

د. ناصر المنشاوي*

نصّت التوراة على اسم أبي سيدنا إبراهيم عليه السلام، فسمته «تَارَحْ» أو «تيرَحْ» خلافاً للقرآن الكريم الذي سمّاه «آزَرَ» بالنص الصريح في قوله تعالى: ﴿*وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ*﴾ [الأنعام:٧٤].

وقد حار مفسرو القرآن في «آزَرَ»[١] لمخالفتها الصريحة لما هو معلوم عند أهل الكتاب من التوراة. وطنطن بها المستشرقون الذين وَهِمُوا أن «آزَرَ» من أفدحِ أخطاء القرآن في اقتباسه من التوراة .

ونقولُ: وما كان أغنى القرآن عنها، علي علمه المحيط بدقائق المكتوب في التوراة! وهل ينتقصُ شيئاً من جلال القرآن أن يسكت عن اسم أبي إبراهيم فلا يُسميَّه؟ قد تناول القرآن جدال إبراهيم لأبيه في أكثر من آية فلم يُسَمِّه، فلماذا النصُ على اسم أبي إبراهيم في هذه الآية وحدها من سورة الأنعام؟

لماذا يصر القرآن على الاسم؟

هل جَهِلَ القرآن اسم أبي إبراهيم في التوراة؟ ولماذا يَزُجُّ بنفسه في المزالق فيخترع من عنده اسماً لأبي إبراهيم، غيرَ عابئ بما يسمعه من أهل الكتاب في مكة ويثرب ونجران؟ (تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا).

وإذا كان مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم يفتري القرآن من عنده كما يَدَّعون، فلماذا لم يستوثق من رجال كورقة بن نوفل عم زوجه خديجة وهو من حنفاء إحدى الملتين، كما يقولُ أصحاب السيَّر، ويقرأ من الكتاب العبراني ؟ ولماذا لم يُصَحِّحَهُ له أمثالُ الحَبْر اليهودي ابن سلام وكيف أسلم بين يدي هذا النبي الذي «يُخْطِئُ» في اسم أبي إبراهيم؟ أفَلم يَرَ ابنُ سلام في هذه وحدها دليلاً كافياً على «كَذِب» هذا النبي (لا سمح الله)؟

ولماذا لم «يُسْقِط» المسلمون من بعد النبي صلى الله عليه وسلم «آزَرَ» هذه من القرآن تنقية للقرآن من خطأ لا تجوز المماحكة فيه؟

نستخلصُ من هذا أن القرآن أعظم وأجَلُّ من أن يُفْتَرَى من دون الله تعالى، ونستخلصُ منه أيضاً أن القرآن عند الذين آمنوا به أعظمُ وأجَلُّ من أن يُكذَّبَ بالتوراة أو يُصَحَّحَ بما في التوراة، ونستخلصُ منه كذلك أن القرآن في المصحف الذي بين أيدينا قد عصمه الله سبحانه وتعالى من التغيير والتبديل، ولو بقصد «التصويب» و«الاستدراك»، فهو إلى قيام الساعة محفوظ بحفظ الله تعالى على الحَرْف الذي به نَزَل. ونستخلصُ منه أخيراً أن القرآن . وكان أيسر عليه استبقاء اسم «تَارَحْ» في القرآن على أصلها في التوراة . إنما أراد عامداً متعمداً تَحَدي المتقولين عليه أصحاب دعوى النقل والاقتباس، فجَابَهَهُم بما يَنْقُضُ دعواهم. والقرآنُ ها هنا يريد المخالفة للتوضيح، ولا يريد منها تأصيلُ منهج أو إثبات عقيدة، وإنما يأتي بها للدلالة على إعجازه فحسب .

نعم، «آزَرَ» في القرآن من دلائل إعجازه . كما سنرى بإذن الله على التَّوِ معاً ...

من بين ما يستوقفنا في القرآن . والذى يستوقف في القرآن كثيرُ . أنه لا يذكر قط اسم نبي من الأنبياء علي النسب لأبيه، كأن يقول مثلاً: موسى بن عمران، وإنما يقول موسى فقط، أو هوداً فحسب، لا ينسب هذا أو ذاك، لأن النبي أشهرُ من أن يُعْرَفَ بأبيه، ولأن القرآن لا يهتم أصلاً بالنسب، خلافاً لما نقرأ في العهد القديم، إلا أن نعلم من القرآن اسم الأب في سياق الحديث عن إبن نبي لأب نبي، كما في داوود وسليمان، وكما في إبراهيم وبنيه، عليهم السلام. إلا إن كان القرآنُ الكريم يريد الإدلال بعلمه وإعجازه، فيسمي لنا «آزَرَ» أبا إبراهيم، ولو أسقطه من سياق الآية لجاز، ولما اختلَّ وزن أو نظم، ولكنه أراد إعلام أهل الكتاب بما لم يعلموه، أو يُفسِّرُ لهم بها «تَارَحْ» اسم أبي إبراهيم في سِفْرِ التكوين. ومن هذا

أيضاً قوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ [التحريم:١٢]، لا يريد إلا الإدلال بعلمه وإعجازه، يُسَمِّي لهم أبا مريم. جَدَّ المسيح عليه السلام. غير المذكور بالاسم في الأناجيل.

أما المسيح عليه السلام فهو استثناء وحيد من كل هذا الذي قلناه: قَلَمَا يجئ به القرآن منسوباً إلى والدته، وما ذاك إلا لتشريف مريم عليها السلام، التي صَدَّقت بكلمات ربها، وتذكيراً بإعجاز مولد عيسى: أنه ابن مريم ولا أب له .

وردت «آزَرَ» مرة واحدة في القرآن اسماً لأبي إبراهيم وهو في التوراة «تَـارَحْ» وقد تَوَقَّف فيها مفسرو القرآن لما يعلمونه من مخالفتها الصريحة لاسم أبي إبراهيم في التوراة، وعَالَجَ بعضهم التصدي لها محاولين التوفيق بين «آزَرَ» و«تَارَحْ» بإسقاط أحد طرفي التناقض: منهم من قال أن «آزَرَ» في القرآن ليس هو أبا إبراهيم، وإنما هو عَمُّه والعرب تُسمي العمَّ أبـا. وليس بشيء، لأن المعنى في القرآن هو أبو إبراهيم، لا عَمُّه. وقال الآخرون إن «تَارَحْ» كان له اسمان، أحدُهُما «آزَرَ» وهو ضعيف، لأنه لا دليل عليه من القرآن أو الحديث، ولا مقنع به لأصحاب التوراة الذين لا يعلمون لأبي إبراهيم اسماً آخر، أو كُنيَّة تَكَنَّى بها. وتَصَدَّى لآزَرَ أيضاً باحثون كبار، كان منهم في هذا العصر الأستاذ عباس العقاد رَحِمهُ الله، في كتابه «إبراهيم أبو الأنبياء» الذي قال ما معناه أن «آزَرَ» ليست تعريباً لـ «تَارَحْ» وإنما هي تصويب قرآني لنطق «تَارَحْ» على أصلها في لغة صاحب هذا الاسم «وكأنه يقصد البابلية أو الآشورية»، وليس هذا بقوي رغم ضخامة الجهد ونُبْل القصد، وأقرب ما يُرَدُّ به على هذا أن العبرانيين لم يقرأوا اسم أبي جَدهم إبراهيم في صحيفة أو نقش، وإنما سَمعوه من إبراهيم شفاهة، وهم قد سمعوها «تَارَحْ» ولم يسمعوها «آزَرَ».

أفتكون «آزَرَ» في القرآن ترجمة لـ «تَارَحْ» في التوراة؟ أم العكس؟

يقتضي أولاً تأصيل لفظة «تَارَحْ» في اللسان العبراني، ومعناه واشتقاقه في اللسان الآرامي، لغة إبراهيم «الآرامي» الوافد على فلسطين من حاران في شمالي سورية كما يقول سِفْر التكوين .

إذا علمت أن تَارَحْ أبا إبراهيم وُلِدَ في أور الكلدانيين ببابل حوالي مطلع القرن العشرين قبل الميلاد حسبما تستخلص من حسابات سِفْر التكوين. بعد انقضاء حوالي ألف سنة على تَوَّطن أسلافه الساميين في بابل. فقد عَلِمتَ يقيناً أن لغة تَارَحْ هذا وآبائه كانت هي بالقطع تلك اللغة السامية البابلية التي تأثرت بمخارج ألفاظ السومريين على مدى ألف سنة سبقت، فهي لا تجد حَرَجاً على سبيل المثال في وضع «التاء» موضع «الطاء» نطقاً وكتابة.

من هنا نقول إن تَارَحْ. اسم أبي إبراهيم في التوراة. إما هو على أصله بالتاء وإما يكون أصله بطاء تَحَوَّرت في البابلية إلى تاء، فيكون مشتقاً من الجذر السامي «طَرَحْ» الذي يفيد في العربية الهَمَّ والحَزَّن وأيضاً قلة الخير، إن صَدَّقنا التوراة في «تَارَحْ» تصديقنا القرآن في «آزَرَ» فلا سبيل أمامنا لتفسير معنى «تَـارَحْ» إلا بأحد هذين الفرضين لا ثالث لهما.

«تارح» ترجمة عبرية، للأصل البابلي

وقد كان الأضبط. والأثبت. التماس معنى «تَارَحْ» البابلية هذه في المعجم البابلي نفسه، ولكن المعجم البابلي للأسف معجم أبتر، يقتصر على مفردات قليلة ليس من بينها «تَارَحْ» أو «طَارَحْ» .

«تَارَحْ» إذن. أو بالأحرى «طَارَحْ». اسم أبي إبراهيم في التوراة، هو من العَلَم الأعجمي الذي فَسَرَّه القرآن بالترجمة (فرده إلى أصله البابلي)، فجاء به على «آزَرَ».جَهل أحبارُ العبرية معنى «تَارَحْ» وحَقَّقَهُ القرآن كما سنرى، فأي إعجاز وأي علْم!

وَزَرَ، يَزِرُ، وَزْراً فهو وازِر «راجع معجمك العربي مادة وَزَرَ» يعني حَمَلَ ما يُثقِلُ ظهره، ومنه في القرآن: ﴿*وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى*﴾ [الإسراء:١٥] أي لا تحمل نفس عن نفس شيئاً، بل كُلُّ نفس بما كسبت رهينة. ومنه «الوِزْر» أي الحِمْل الثقيل كما في قَولِه تعالى: ﴿*حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا*﴾ [مُحَمَّدٌ:٤] أي أثقالها من سلاح وعَتَاد .

أما «الـوِزْر» على أصل معناه في العربية، أي الحمل الثقيل فهو في العبرية . الآرامية «طورَح» أخذاً

من الجذر العبري ـ الآرامي «طَرَحْ» أي حَمَلَ ما يُثقلُ ظهره. ولا تستعمل عبرية التوراة من الجذر «طَرَحْ» إلا «طورح» بمعنى الحمل الثقيل، أي الوزْر «طارح» إذن أي «تَارَحْ»، إن اشتققتها من الجذر العبري ـ الآرامي «طَرَحْ» معناها «الوازر» على التطابق لا على المجاز بمعنى الحمول المُحَمَّل.

«الأزْرُ» عربياً ليس أصل معناها «القوة» كما وَهِمت بعض المعاجم[٢]، وإنما أصل معناها «الظهر». والظهر يُكَنَّى به عن القوة، لا العكس. والإزارُ منه، لأنه يُشَدَّ به على الظهر، أي على «الأزْر».

أما أن «الأزْر» معناها «الظهر» لا القوة، فهذا يتضح لك من قوله تعالى على لسان موسى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه:٢٩ – ٣١] والمعنى «اشدد به ظهري» لا اشدد به قوتي كما وقع في بعض التفاسير، وكما وقع في المعجم الوسيط استشهاداً على معنى «الأزر» بأنه القوة. وليس بشيء.

وقد فَسَّرَ القرطبي رحمه الله «الأزْر» بمعنى «الظهر» في تفسيره للآية ٣١ من سورة طه، فارجع إليه.

والوزر من «الأزر» قريب، لا في مادته فحسب ولكن لأن «الوزْر» بمعنى الحمل الثقيل لا يكون إلا على «الظهر» أي على «الأزْر». تجد هذا فصيحاً بيناً في قوله تعالى يُسَلِّي به نبيه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٢ – ٣].

وقد عَدَلَ القرآن عن «وازر» إلى «آزَرَ» دفعاً لشبهة فهمها بمعنى الآثم الخاطئ ولا سبيل أمامك إلى تفسير معنى «تَارَحْ» البابلية اسم أبي إبراهيم في التوراة إلا بردِّها إلى «طَارَحْ» العبرية ـ الآرامية أبدل البابليون من طَائها تاء.

ولا ترجمة إلى العربية لهذا الاسم البابلي أدَقَّ من «آزَرَ» التي في القرآن بمعنى «الوازر» على أصلها، لا مجازها.

جهل أحبار العبرية معنى تارح وفسره لهم القرآن الكريم

قد أصاب القرآن إذن في «آزَرَ» وسَفِهَ خصومهُ. فهل رَغِمَتْ أنوف ؟

جَهِلَ خصوم القرآن معنى اسم أبيهم «تَارَحْ»، وما زالوا يجهلونه، وعَلِمَهُ القرآن. فأي إعجاز وأي علم !!

كان أولى بالذين طعنوا على القرآن في «آزَرَ» أن يتعلموا منه، ولكنهم لم يفعلوا. وصَدَقَ سبحانه إذ يقول في تقريعهم: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٦].

---

* باحث وكاتب إسلامي. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

[١] أنظر تفسير القرطبي للآية ٧٤ من سورة الأنعام.

[٢] منها «المعجم الوسيط» الذي سَكَتَ عن تعريف «الأزْر» بأنه «الظهر»، وعَرَّف «الأزر» بأنه «القوة» مستدلاً بالقرآن ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه : ٣١] وهي على الضد من قوله.

إلى الأحبة القراء:

يسرّ مجلة «الإعجاز» تلقّي كل البحوث والمقالات الهادفة الى تنوير المجتمع وتثقيفه بصرف النظر عن هوية الكاتب، ومعتقده، وطائفته، وإنتمائه. ولا شرط لها إلا أن يتقيد بأصول البحث العلمي، والبعد عن التحريض، والنقد الهدام، وعن السياسة، وأن يكون هاجسه بعث الأمل في نفوس الناس لتخطي آثار الحرب وبناء المجتمع المتسامح.

عزيزي القارئ،

ضع هذه المجلة في المكتب أو في البيت واترك المجال لمن تحب لكي يطّلع عليها. ولا تهملها أو تخزنها باكرًا، فقد يكون لك فيها أجر تذكير الناس بالله عزّ وجلّ. قال تعالى ﴿كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره﴾.

الرحمن علم القرآن

١٧- إعجاز القرآن في الإخبار عن الأمم السالفة

أ. باسم وحيد الدين علي

بسم الله الرحمن الرحيم

طوى الزمن الغابر أحداثاً جساماً، وسيرة رجال، وأخبار أقوام، وبعد مرور آلاف السنين استعاد القرآن هذه الأخبار بعد اندثار، وكأنها تسمع كالأنباء لأول مرة. فحدّث عن أخبار الأمم السالفة المعروفة، وصحح المعلومات المغلوطة المتناقلة عن بعضها، وكشف عن بعضها الآخر غوامضها والأسرار. كما حدث عن أمم اندثرت حضارتُها، ولف النسيان أخبارَها، فأحيا الله تعالى ذكرَها والعبرَ مما حصل معها ولها.

وفي كل الحالات، ذكر الله تعالى أنه ليس بمقدور نبينا صلى الله عليه وسلم أن يأتيَ بمثل هذه المعلومات والتفاصيل، لا هو ولا أيّ كائن من عصره أو أتى بعده، فقد طوت الأرض الأقدمين وصارت مساكنهم أثراً بعد عين، ولم يبق من أخبارهم إلا الأساطير. ولن يتأتى علمهم بعد ذلك إلا من عند ربنا وحده، سبحانه وتعالى، فقال مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم في سورة هود: ﴿*تلك أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إن العاقبة للمتقين*﴾ [49](سورة هود).

ومما مضى من أنباء ما هو متعلق بأخبار الأولياء والصالحين وحتى الضالين والكافرين والمنافقين. ومن هذه الأنباء قصة الذي مر على قرية خَربة، خاوية من الناس، قد يبست أشجارها، فأخطأ حين تفوه بكَلام يُفهم منه أن الله تعالى لا يمكنه أن يعيدها إلى سابق عزها فأماته الله مئة عام ثم أحياه وقال عنه في سورة البقرة : ﴿*أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*﴾ [259] (سورة البقرة).

ومن هذه القصص خبر فتية أهل الكهف وموسى والخضر عليهما السلام وكذلك خبر ذي القرنين. وذو القرنين قائد عابد صالح، لا علاقة له بالإسكندر ذي القرنين الإغريقي لا من قريب ولا من بعيد، فقد أخبرنا الله تعالى أنه مكن لذي القرنين في الأرض، وأنه كان مؤمناً، بدليل قوله في سورة الكهف، بعد أن أنجز السد في وجه يأجوج ومأجوج: ﴿*قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا*﴾ [98] (سورة الكهف).

بينما كان الاسكندر شاباً مغامراً، يعاقر الخمر ويعاشر النساء وحتى الرجال، كما روى عنه قادة جيشه، ومما لا يعرفه الكثير من الناس، أنه كان قبيل موته يعد لاجتياح الجزيرة العربية، إلا أن الله تعالى قبضه، قبل أن يحقق مأربه، وهو في عز الشباب.

ومن جميل أنباء القرآن عما مضى من الزمان، تلك التي تتحدث عن السيدة مريم العذراء عليها السلام، والتي تفرّد بها القرآن الكريم، فذكر صلاحَ والديها، وحمل أمها بها، ومولدَها ونشأتَها الصالحة التقية، بعد أن نذرتها والدتُها لخدمة دين الله، وحدّث القرآن كذلك، عن بركتها وعناية الله تعالى بها، حتى أن سيدنا زكريا نسيبَها، وقف في مكان تعبدها تبركاً، ودعا ربه أن يرزقه ولداً صالحاً فاستجاب الله تعالى لندائه، وقال عنه في سورة آل عمران: ﴿*فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ*﴾ [39] (سورة آل عمران).

ويصل الأمر بمريم عليها السلام، إلى ذروة الإرباك، حين يبشرها الملك بعيسى عليه السلام، وهي العذراء الطاهرة العفيفة التي لم يمسسها بشر، ثم يتطور الموقف عند الولادة وبعدها، حين تحمل وليدها إلى قومها، عاجزة عن الدفاع عن نفسها فيسمعونها نوعاً من التوبيخ، ويقولون: ﴿*يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا* [٢٨] *فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا* [٢٩] *وإذا بالطفل الوليد ينطق بمعجزته الأولى فيقول للحاضرين: قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ*

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا [٣٠] وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا [٣١] وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا [٣٢] وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [33]﴾ (سورة مريم).

وفي هذا الوصف الدقيق للمشاعر ما يحرك القلوب ويدمع العيون حباً وتعاطفاً مع هذه السيدة الصدّيقة ومع ابنها الرسول الكريم عليهما السلام.

ويسأل الله تعالى نبينا عليه الصلاة والسلام، من كان حاضراً في تلك اللحظات المباركة حتى يدلي بدلوه أو يتقول على الله ما ليس له بحق؟ فيصف تنافس الصالحين أيهم يكفل مريم الصغيرة ويقول في سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [44] (سورة آل عمران).

ويخلص القرآن الكريم بعد سرد هذه المواقف إلى أن أساس كل هذه الأديان كان دينُ إبراهيمَ الحنيف، وأن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يحد عن دين أبينا إبراهيم شعرةً واحدة.

ولم يذكر الله تعالى في كتابه الكريم إلا بعض الأخبار عن بعض الأمم ولم يذكرها جميعاً، قال تعالى في سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ..﴾ [78]، (سورة غافر) ، وذلك لأن القرآن الكريم ليس كتابَ إحصاء ولا كتابَ تاريخ، بل هو كتابُ اعتبار وإرشاد وهداية، اختار الله تعالى فيه بعض ما حصل ليكون عبرة ومثالاً.

وقد أعجزت هذه الأنباء أعداء الحقيقة، عن مجابهة القرآن، أو الإتيان ولو ببرهان صغير، يقرع حججه ويدحض رواياته، ومعاذ الله أن يفلح الكافرون.

ونأتي إلى الخلاصة، فما الفائدة في إحياء أنباء ما قد سبق بدقة وتفصيل؟ هل المقصود إقامة الحجة على المنكرين والمضلين فقط؟ أم أن القصة أبعد من ذلك وأهم، فالمقصود أولاً أن يثق الناس بأن هذا الكتاب المعجز ليس من تأليف إنس ولا جن، وأنه كلام رب العالمين، قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [37] (سورة يونس).

إنه حقاً كَلامٌ: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾ [42]،(سورة فصلت)، يشجع النبي صلى الله عليه وسلم على الاستمرار في الدعوة إلى الله، فيقول له في سورة النمل: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [79]،(سورة النمل).

كما يريد الله تعالى بهذه الأنباء، أن يثبت قلب النبي ويعطيه الحجة والبرهان.

والمقصود أيضاً مخاطبة القرآن الكريم لعقل البعض وقلوب البعض، وأرواح البعض الآخر، قال تعالى في سورة هود: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [120] (سورة هود).

وسبحان الله فإننا على الرغم من ذلك نجد قوماً لا ينفع معهم ترغيب أو ترهيب، أصموا آذانهم وأداروا ظهورهم للهدى وانغمسوا في نعيم الدنيا وزينتها، فقصَروا النظر وقصَّروا في العمل. وهكذا نرى كيف أتى القرآن بأنباء لم ترد في كتاب سبق، وذكر من المواقف والمعلومات التفصيلية الدقيقة عن الأنبياء والرسل، ما أعجز المعترضين الأقدمين والمحدثين عن تكذيبها أو مناقشة مضامينها.

فوجه الإعجاز إذن، هو في استعادة ما اندثر من أخبار الأمم السالفة، وفي تصحيح ما شاع من معلومات مغلوطة أو مشوشة، فأعاد إلى كل خبر حقيقته ودقته ورونقه، واستعاد مواقف الأطراف فيه، ودخل إلى أعماق أبطاله، فأخبر بما كان يدور في نفوسهم، ولا يقدر على ذلك إلا الله السميع العليم القدير الذي يعلم السر وأخفى، والذي لا يضل ولا ينسى، والذي لا يشغله شيء عن شيء، ولا تختلط عليه المسائل ولا الأصوات ولا اللغات.

ومن بلغته مثل هذه الوقائع، أصبح ألين عقلاً وأرق فؤاداً، وأكثر استعداداً واستجابة، للإيمان بالله الواحد رباً، وبمحمد وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم أنبياءً ورسلاً، وبالقرآن الكريم كتاباً وإماماً.

ومن صدّق ووثق بصدق خبر القرآن عما مضى، لا تمنعه إلا المكابرة عن الإيمان بالكتاب كله، وبما هو آت، من قيام الساعة والبعث والنشور والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة أو النار، وهذا هو عين المطلوب.

فإذا اتعظ الانسان أعاد حساباته وغيّر نهج حياته، واتخذ قرارا بالاستقامة، وبحفظ الكرامة، ليطيع ما أمره به الله ورسوله، وينتهي عما نهى عنه الله ورسوله، فلا يعبد إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يرضي أحداً قبل الله. والحمد لله رب العالمين.

من إعجاز النبوة إستشرافها الحلول الجذرية للمشكلات الاجتماعية والحضارية

أ.د. ناصر أحمد سنه*

لا يخفى على أحد أن المجتمعات الإسلامية خصوصاً، والإنسانية عموماً، وهي تعاني ما تعاني من مشكلات اجتماعية وحضارية، بحاجة ماسة إلى فهم أعمق وتطبيق أسرع لمقاصد الشرع الحنيف، ولخطاب القرآن الكريم الخالد، وهدايات النبوة والرسالة الخاتمة. تلك المقاصد، وذاك الخطاب، وهذه الهداية التي استوعبت المراحل والحالات، والمشكلات والأزمات الاجتماعية والحضارية كلها...عافيةً ومرضاً، نهوضاً وسقوطاً، نصراً وهزيمة، حركة وركوداً، اجتماعاً وتفرقاً، إعماراً واستخراباً الخ... فامتلكت الحلول لها، والإجابة الكاملة على أصول مشكلاتها وأزماتها، وسبل التعامل معها، وإلا كيف استحق أن يكون خالداً، خاتماً، ومحلاً للأسوة والاقتداء؟! ﴿*وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون*﴾ (الأنعام: ١٥٣)، ويقول تعالى: ﴿*قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين*﴾ (يوسف : ١٠٨).

إن النبوة والرسالة الخاتمة... اللبنة النهائية في البناء المتكامل الكامل لدين الإسلام: ﴿*إن الدين عند الله الإسلام*﴾ (آل عمران:١٩)، ﴿*اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً*﴾ (المائدة: ٣) لذا فقد أصبح الإسلام بناء المستقبل الخالد، ومنهجه الدائم، الذي اكتمل، وكمل على يدي رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وأصبح في مأمن من النقص أو الانهدام، قال تعالى: ﴿*اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون*﴾ (المائدة: ٣). وأمتلك ناصية الحلول لكل ما يعن من مشكلات وأزمات. ولعل الأزمة الاقتصادية العالمية وتبعاتها الحالية (ولعل المجال هنا لا يتسع للإسهاب في هذ الأمر) خير شاهد على ذلك.

فلقد حرمت الشريعة الربا ﴿*وأحل الله البيع وحرم الربا*﴾ (البقرة:٢٧٥)، فـ«الربا هو الطريق الوحيدة في التعامل الاقتصادي التي تجعل دورة الثروة تجري في اتجاه واحد، مما جعل النظام الصناعي نظاما استغلاليا». لقد أثبت التاريخ بطلان الأحكام الوضعية التي يتوصل إليها البشر بأنفسهم، بعيدًا عن الوحي المعصوم. فبسبب تحريم الربا استمر الاقتصاد الإسلامي لمدة ألف سنة، دون أن تظهر طبقة فاحشة الغنى، وأخرى فاحشة الفقر.

والنظام الاقتصادي الحديث القائم على الربا، هو أول نظام من نوعه أنشأ الوضع الاقتصادي القلق في المجتمع، بتوزيع الثروات بطريقة غير عادلة، وهذا النظام عاجز عن حل هذه المعضلة. وها هم الاقتصاديون العالميون يعيدون الاعتبار لأسسٍ وأصول الاقتصاد الإسلامي بل باتت المعاهد، فضلاً عن المصارف المالية في فرنسا وغيرها، تدرس مقررات، وتخصص نظمًا مالية تعمل وفق الشريعة الإسلامية، حيث لا ربا ولا مرباة ولا فائدة (حيث الفائدة صفر). قال عز وجل:﴿*سنريهم آياتنا في الأفاق، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق*﴾ (فصلت: ٥٣).

ولعل السطور القادمة تشير ـ على عجالة وإيجاز

لنماذج من إعجاز الهداية النبوية، وتشخيصها واستشرافها الحلول الجذرية للمشكلات الاجتماعية والحضارية...المحلية والعالمية.

منهاج النبوة يحدد المأزق الاجتماعي/الحضاري الراهن:

قال صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعي الأمم عليكم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها...قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال:» لا، بل أنتم كثير، لكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن». قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» (رواه أبو داوود، وفي صحيح أبي داوود للألباني).

إنه تحديد دقيق مُعجز، ونقطة انطلاق للخروج من المأزق الاجتماعي الحضاري... بكل أطرافه وأطيافه وأماكنه... المحلية والعالمية. أمم متعددة تتكالب/ تتداعي على أمتنا (كتداعي الأكلة إلى قصعتها).. استخرابًا، واستقطاعًا من أراضيها، واستنزافًا لثرواتها المادية والمعنوية في آن معاً. تدافعاً اجتماعياً/ حضارياً/ ثقافياً، بل لعله أحيانًا وجودياً بين النموذج الإسلامي وغيره من النماذج. هذا التدافع بصوره المتعددة والمتنوعة والمتراكمة قد يدمر عالم أفكار الأمة، وقدواتها فضلاً عن تبديد / استيراد عالم أشيائها. لذا كان هناك ثمة حوار استفساري من الصحابة الأبرار عن: العلة وأعراضها ومن ثم الحل. بيد أن الاستفسار ذهب إلى طريق «التفسير الكمي/ العددي/ الشخصاني» للمشكلة/ الأزمة الاجتماعية/ الحضارية تلك. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم صوّب الوضعية الحقيقية إلى عالم الكيف/ الأفكار/ النفوس: إنها وضعية « الغثائية» وعللها وتراكم معضلات «حب الدنيا وكراهية الموت»، وتنامي صور «الوهن» النفسي والاجتماعي والحضاري.

حمت الشريعة الأمة في حالات النصر والهزيمة والازدهار والتخلف

يدير الربا الثروة في اتجاه واحد

وهنٌ ينعكس على العلم والإيمان والعمل...الزاد الدائم للاجتماع والتحضر في سبيل السير إلى الله تعالي.

– ولعل (الوهن..حب الدنيا وكراهية الموت) ليتبدى في «المقالة التفاوضية المباشرة» من مبعوث الكفار «عتبة بن ربيعة» لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليثنيه عن دعوته بـ»إغراءات مادية كمية دنيوية زائلة» قال «عتبة»: «يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرَّقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني، أعرض عليك أمورًا، تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها، فقال عليه الصلاة والسلام : (قل يا أبا الوليد، أسمع). قال: يا ابن أخي! إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفًا سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رئيًا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى. فلما فرغ عتبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقد فرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم. قال: (فاسمع مني). قال: أفعل. فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات من أول سورة فصلت إلى السجدة. فلما سمع عنه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليها، يسمع منه، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها سجد، ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذلك»[1].

– لقد كان جوابه صلى الله عليه وسلم لكفار قريش، وهم «يفاوضونه»، وذلك باستعمال وسائلهم الخاصة التي تنتمي إلى «الثقافة الاجتماعية التقليدية المادية»: «وما جئت بما جئت به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا

أملك عليكم، ولكن بعثني الله إليكم، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله، حتى يحكم بيني وبينكم»[٢].

– لقد دل القرآن الكريم على أن علل الأمم لها أسباب موضوعية، وعافيتها بتلافي تلك الأسباب: ﴿ *فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض... وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون* ﴾(هود: ١١٦-١١٧). وقد بيّنت آيات أخرى هذه الأسباب: ﴿ *وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها* ﴾(القصص:٥٨).

ويقول تعالى: ﴿ *وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها* ﴾(الإسراء:١٦)، ويقول تعالى: ﴿ *وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون* ﴾(الأنعام:١٢٣).

«إن تدمير المجتمعات، واندثار حضارتها، وخلاء مساكنها، كان بسبب ما ينشأ فيها من بطر واستكبار وطغيان، وبما تتردى فيه من استغراق في الشهوات وإسراف في المتع و»عبادة الشهوات». فقوم نوح، لم يصبهم العذاب إلا بعد أن استشرت وتأصلت فيهم المفاسد العقدية والاجتماعية، حتى أن نوح عليه السلام دعا عليهم قائلا: ﴿ *ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا* ﴾ (نوح: ٢٦). وأما «عاد «فقد اتبعوا سبيل المفسدين الظالمين، وملؤوا بلادهم بالظلم»: ﴿ *وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد* ﴾(هود: ٥٩). وأما قوم لوط فلقد بلغ تنكرهم للأخلاق حداً صاروا يرتكبون فيه الفواحش علانية في المجالس والأسواق والنوادي، ولم يبق منهم رجل رشيد: ﴿ *أئنكم لتأتون الرِّجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المُنكر* ﴾ (العنكبوت:٢٩).

لا تجدي القوانين الوضعية إلا مرحلياً

– والمتأمل في مقالة سيدنا «جعفر بن أبي طالب» للنجاشي في أعقاب الهجرة الأولى إلى الحبشة قال: (يا أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي الضعيف)، يرى بياناً مختصراً عن خلل، اجتماعي/قيمي جعلهم رهائن (دائمين) لجملة من الأهداف السلبية، التي لم تتح لهم فرصة تفتيق طاقاتهم، وتسخيرها في خدمة رسالة معينة، ترتفع قليلاً أو كثيراً عن الفلسفة الأرضية المغرقة في المادية، والظلم الاجتماعي. لقد حصر هذا الاجتماع (ما قبل الإسلام) نفسه في سجن (الاهتمامات البسيطة) المتوارثة، عن أجيال الفراغ العقائدي.

ويبدو كأن خلاصة أمراض الإنسانية: زاوية الهوى والاشتغال بالعرض الدنيوي الزائل، وزاوية عبادة الأصنام، والإعراض عن الحق تبارك وتعالى، وزاوية الجمود العقلي (الآبائية) والركود الثقافي، وانعدام الفعالية الحضارية حيث غياب المشروع الاجتماعي المتكامل والإيجابي المُوجه للطاقات البشرية، قال تعالى: ﴿ *أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً* ﴾(الفرقان:٤٣)، ﴿ *أتعبدون ما تنحتون* ﴾(الصفات:٩٥).

مرضنا هو «الوهن» النفسي والاجتماعي والحضاري

إن الأهداف المادية (الطينية) لا تمتلك الروح الدافعة، التي تخلق للناس اهتمامات ترتفع بهم فوق وجودهم الأرضي الزائل، وتربطهم بالواقع الرباني المتسامي، الذي يستلهمون منه (النَفس الحضاري) الممكن في الأرض.

– ونراه ـ رضي الله عنه ـ يشرح للنجاشي مبادئ الإسلام، و»منهاجه الإصلاحي العام» حيث قال: «فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله، لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه،

من الحجارة، والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة».

إنها بداية ظهور منظومة جديدة من الأهداف، وشروق «عافية وتعفف اجتماعي»، بدأ يسجل حضوره التوحيدي العقدي والتاريخي، ومعالم نموذجه الكوني العالمي. إنها عملية إفراغ للعقول من المواريث الاجتماعية الجامدة، والمعطلة، وإخلاء للقلوب من مس الهوى، وشياطين الإنس والجن في آن معاً.

ومن ثم بناء تلك العقول بالقيم الحية، والأفكار السليمة، وتعمير تلك القلوب بالمبررات الدافعة، والشحنات الإيمانية القوية والفاعلة.

- عندما تعطي السنة النبوية حكماً حضارياً، وتاريخياً مضطرداً، فإنما تأخذ حجتها من الموقف القرآني الكلي الشامل والمهيمن، وتعتمد فيما وصلت إليه على «استقراء» كلي للمنطق القرآني في دراسته للظاهرة الاجتماعية/ الحضارية التاريخية. ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقي في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا في قوم قط، إلا وكثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان، إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير الحق، إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر بالعهد، إلا سلط الله عليهم العدو) (الموطأ موقوفا على ابن عباس رضي الله عنه، قال ابن عبد البر رويناه متصلاً عنه، ومثله لا يُقال رأياً) .

فالحديث يقدم «منطقاً سُننياً.. مضطرداً، ثابتاً، شاملاً» يطرح السببُ ونتيجته، ويقدم فهماً وافياً للحركة الاجتماعية التاريخية بأمثلة تمس بعض جوانب الحياة الإنسانية. فظهور الغلول (كمرض اجتماعي) يؤدي إلى (أزمة نفسية)، من مظاهرها: (إلقاء الرعب في القلوب)، مما يؤدي إلى تراكم نتائج اجتماعية غير سوية (قلق، وفوضى، وخوف وجريمة الخ)[٣].

كما إن إنتشار الزنا (مرض أخلاقي) يؤدي إلى (نتيجة كونية تدخل في إطار السنن التكوينية وتساهم في هلاك النسل) وهي حدوث الموت، ونقص المكيال والميزان (مرض اقتصادي) يؤدي إلى (أزمة معاشية) هي انقطاع الرزق، وهلاك الأموال، والحكم بغير الحق (مرض سياسي) يؤدي إلى (أزمة أخلاقية) هي التقاتل، والتنازع وتضعضع بقاء النسل، ويساهم في فشو الدم الذي يخرب به العمران البشري. كما إن الختر بالعهد (مرض أخلاقي ونفسي) يؤدي إلى (أزمة حربية) تقاتل وتسلط الأعداء، وبالتالي الخوف، وضياع الأمن، وتعثر الاقتصاد، وانهيار البلاد، وهلاك مصالح العباد (من حفظ الكليات الخمس: الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال).

- هذه الثنائيات التي يذكرها الحديث السابق، ليست مذكورة على سبيل الحصر، وإنما لعلها أمثلة نموذجية تشير للسنن المتحكمة في المشكلات الاجتماعية المتنوعة... سببًا ونتيجة، تشخيصًا وعلاجًا بتلافي الأسباب المؤدية لها.

سببه حب الدنيا وكراهية الموت

- على صعيد آخر من الأسباب المؤدية، حال حدوها لمشكلات وأزمات اجتماعية وحضارية جسيمة نجد السنة النبوية المطهرة ترسم لنا وعياً «استدلالياً» آخر لمركز الداء الاجتماعي العضال، ومصدره، يهدينا إليه هذا الحديث:عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه) (رواه مسلم).

فالحسد، والتناجش، والتباغض، والتدابر... أمراض نفسية، وأخلاقية، تؤدي إلى سلوكيات، وأعمال للجوارح، تؤثر في الحركة الاجتماعية بأكملها. كما إن البيع على بيع الأخر (الخِطبة على خِطبته)،

والظلم، والخذلان، والكذب، والتحقير... إلخ أمراض أخرى تصدر عن نفوس مريضة، وكل هذه الظواهر السقيمة تصنع أزمات مجتمعية. لذا فالرسول صلى الله عليه وسلم يشير إلى الموقع الحقيقي (التقوى ههنا) في عالم القلب، والعقل، والنفس. ولهذا يضع صلى الله عليه وسلم حدوداً أخلاقية لحفظ القلوب، وتزويدها بالضابط الروحي، والناظم والوازع الأخلاقي، لتنسجم مع سنن الله في الخلق (كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه).

– وعلى صعيد منهاج حل هذه تلك المشكلات الاجتماعية وغيرها، نجد «حديثاً سُنّنياً» آخر يعطي توجيهات لتأسيس القاعدة الأخلاقية والسلوكية للبشر: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يتلمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون الكتاب ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به علمه لم يسرع به نسبه»(رواه مسلم).

الإخلال بالشرع يؤدي إلى الظواهر الاجتماعية السلبية

إن ربط كل فعل «بشري» بجزاء «إلهي» أمر غاية في الأهمية، ولا نظير له. فربط تنفيس الكربة في الدنيا، بالتنفيس الكرب في الآخرة – وما أعظمه من أمل يعيش من أجله المسلم.

كما ربط التيسير على المعسر، بتيسير الله في الدنيا والآخرة الخ[٤] وهكذا تواصل منطقية السنة ونظام منهاجها الأخلاقي السلوكي العلمي الوسطي الذي يمكن تطبيقه في أرض الواقع، وفي حياة الناس، تبغي المحافظة على مقاصد الشارع في الخلق، كما أمر المولى تبارك وتعالى. ولعل الغاية القصوى للسنة، والتي أخذتها من القرآن الكريم، هي السعي إلى (إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد لله اضطراراً)[٥].

– إننا نلحظ هذا الربط السابق... أي ربط كل فعل «بشري» بجزاء «إلهي»: ﴿ ***ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض*** ﴾ (الأعراف: ٩٦)، كما شمل «الجوانب الإيجابية» يشمل أيضا «الجوانب السلبية» التي قد تؤدي لمشاكل اجتماعية خطيرة كمشكلة الانتحار. فنسب الانتحار حسب تقارير منظمة الصحة العالمية ـ التي تختلف باختلاف البلدان والثقافات والعوامل الفردية والشخصية والصحية والنفسية والاجتماعي ـ تشير إلى ازديادها على المستوى العالمي، مما يثير قلقاً متزايداً (الانتحار ثامن سبب للوفيات عمومًا).

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم خالدا مُخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سماً فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم، خالدا مُخلدا فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدتُه في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم، خالدا مُخلدا فيها أبدا»(رواه البخاري)، بيان نبوي بليغ يبين فداحة جريمة الانتحار... والجزاء من جنس العمل.

– أن الإنسان مخلوق اجتماعي له كامل الحرية والإرادة في اختيار أفعاله، فعند ارتكابه أي جريمة عمدًا، فإنما هو بقصده وإرادته، ولذلك قررت الشريعة عقوبات رادعة للمجرم... عبرة للآخرين، وزجراً لهم، ليعم الأمن والسلم الاجتماعيين، قال تعالى :﴿ ***والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم*** ﴾ (المائدة: ٣٨).

ولقد ظهرت نظريات وضعية تخالف ما سبق، فترد

سبب الجريمة إلى الأحوال المحيطة بالفرد، ونتيجة لجنوح اجتماعي، وعمل اضطراري غير متعمد، يكمن سببه في الأحوال الحياتية والأمراض العقلية، والعسر المادي والاقتصادي الخ... وطالبت هذه النظريات باعتبار المجرم مريضًا تجب معالجته وإصلاح أحواله بدلاً من معاقبته، وقد حازت هذه النظريات على الإعجاب، وعملت بها غالبية الدول، وألغيت العقوبات الرادعة للجرائم الأخلاقية، وتنامت أعداد السجون والمساجين، ومع ذلك فقد زادت الجرائم، واضطرت بعض الدول إلى إعادة عقوبة الإعدام بعد أن ألغتها.

– وتنظر الشريعة الإسلامية إلى علاقة الرجل بالمرأة، على أنها علاقة متكاملة لا متنافسة يكمل بعضها بعضا، لا يصارع بعضها بعضا. فدور المرأة مكمل لدور الرجل، وعلى هذا بنت أحكامها المختلفة. ولكن الدراسات الاجتماعية الوضعية الحديثة روجت لفكرة «المساواة الكاملة بين أنداد متنافسين، فهما نسخة طبق الأصل للآخر».

الاختلاس يضعف العزائم ويبث في النفوس الرعب

وهذا اقتضى أن يعمل كل من الرجل والمرأة في أي مجال دون تميز أو تفريق. لكن نشأت كثير من المشاكل عن هذا الخلط المتعمد بين الأدوار، منها على سبيل التمثيل لا الحصر: مشكلة الأولاد المحرومين من تربية الوالدين، ومشكلة كبار السن. فبينما يعاني الأطفال الحرمان من حنان الوالدين، يعاني الكبار الحرمان من الأقرباء والأصدقاء المخلصين الأوفياء. – وعندما تتراجع المجتمعات تسعى لتقليد الغالب/ المتغلب عليها، فلقد ذكر «ابن خلدون» في مقدمته: « أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب، في شعاره، وزيه، ونحلته، وسائر أحواله، وعوائده».

ويذكر أن السبب في ذلك «أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب. فإذا غالطت بذلك، واتصل لها حصل اعتقاداً، فانتحلت جميع مذاهب الغالب، وتشبهت به، أو لما تراه، والله أعلم، من أن غلب الغالب لها، ليس بعصبية، ولا قوة بأس، وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب». إن هذه النظرية قد تفسر حالة بعض المجتمعات الإسلامية في هذا العصر. كما أشار إلى: «أن الظلم مؤذن بخراب العمران»، وذكر «أن التجارة من السلطان مضرة بالرعايا، ومفسدة للجباية». كما نبه أيضاً إلى: «أن من عوائق الملك حصول الترف، وانغماس القبيل في النعيم»، وأن: «الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة»، «أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع».

– لكن «ابن تيمية»، يشير للأصالة الذاتية للمجتمع الإسلامي، وأنه لا بد أن يتميز عن غيره، ويترفع عن تقليد المجتمعات الأخرى. يقول: «ثم إن الصراط المستقيم، هو أمور: باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات: في الطعام، واللباس، والنكاح، والمسكن، والاجتماع، والافتراق، والسفر، والإقامة، والركوب، وغير ذلك. وهذه الأمور الباطنة والظاهرة، بينها – ولابد – ارتباط ومناسبة. فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال، يوجب أموراً ظاهرة... وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً. وقد بعث الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له. فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم، والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة[٦].

خصائص الحلول التغييرية لما بالأنفس والمجتمعات

– إن المتتبع للهداية النبوية، يجدها قد سارت

بتوافق تام، مع سنن البناء الاجتماعي، التي ترافق عملية الربط الحضاري للإنسان برؤية كونية. ولهذا كان التوجيه القرآني حاسماً في التنبيه على الساحة المركزية للتغيير الاجتماعي الأصيل، وهي الساحة النفسية بمفهومها الشامل، قال تعالى: ﴿*إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم*﴾ (الرعد:١١).

فثمة ضرورات خاصة بفهم الرؤية الكونية عموماً، وتحدثت عن ضرورات خاصة بالمجتمع، وسلوكه الاجتماعي (سلباً وإيجاباً). كما تحدثت الآية عن ضرورات خاصة بالمنهج التغييري لما بالأنفس، والتي جاهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل (ربط) هذه النفوس والعقول بالخطاب الإلهي، وأتاح لها فرصة الاستجابة لتوجيهات الوحي الأعلى.

– إن هذه الحركة التغييرية لما بالأنفس وهي تتفاعل مع مشكلات الواقع، وهمومه، سعت وتسعى إلى استيعاب متطلبات المجتمع، وسماع خطابه، وحاجاته التي يرفعها الناس على اختلافها.. عقلية، أو نفسية، أو أخلاقية، أو تربوية، أو معاشية أو مادية، أو عصبية أو قبلية أو جدلية الخ.، كي تتمكن من تقديم الخير له.

تفشي الزنا يؤدي إلى تفشي الموت

– يقول الفيلسوف «رجاء جارودي»: «إن ما يميز العلم الإسلامي، هو أنه لا يفصل أبدا بين الاستعمالين الرئيسين للعقل: البحث عن الأسباب، والبحث عن الغايات، أي الملاحظة والاستقراء، اللذين يسمحان بالانتقال من الوقائع إلى القوانين والنظريات، وبالصعود من غاية إلى غاية، من غاية تابعة إلى غاية أسمى»[٧].

– لقد قام النبي عليه الصلاة والسلام بمعاينة أمراض الجاهلية، ومشكلاتها وتبعاتها، وتشخيص أسقامها على مستويات متعددة لقد حدد النبي عليه الصلاة والسلام، أزمة (إنسان ما قبل الإسلام) في مستواها الكوني عن طريق الوعي القرآني، وأرجعها إلى (مشكلة غياب الرؤية الكونية الصحيحة) لقضايا الإنسان، والكون، والحياة، وموضوع كل واحد منها وغاياته، ووظائفه. ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليضع مكان المرض أعراضه، ولا مكان الأعراض أسبابها، ولا مكان الأسباب آثارها. كما لم يكن، صلى الله عليه وسلم ليغير الواقع الاجتماعي غير السوي، قبل تغيير واقع أسبق منه منهجياً هو (الواقع النفسي) .. ولم يكن ليغير الواقع النفسي، قبل امتلاك نموذج تربوي للتغيير، يستقيه من (وحي إلهي).

– إن منطق السنة في التعامل مع الظواهر الاجتماعية منطق متميز، يأخذ قوته الاستدلالية، ومنهجه البرهاني، من منهج القرآن الكريم، الذي يمتلك شمولية النظر في الماضي، والحاضر، والمستقبل، وفي كل غيب علمه عند الله سبحانه وتعالى. كما يتحكم في هذه الحركة بشكل مستوعب، وصحيح لا ريب فيه مطلقاً، فهو صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة. وعلى هذا فالسنة النبوية مثلاً عندما تتحدث عن (قصص الأنبياء ودعوتهم مجتمعاتهم)، فهي تكشف لنا عن تجارب حضارية عميقة وعن تركيب جوهري للحقيقة الدينية، مع حوادث الكون، والحياة، والبشر. ومن هنا يكون لها القصص كاشف للسنن، ومُوجه للناس إلى سنن الهداية.

الغش في المكاييل يقطع الأرزاق

– إن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كمبلغ عن ربه سبحانه وتعالى، دعوة عالمية إنسانية، موجهة إلى كافة الخلق بخطاب أخلاقي، وعقلي، وعملي، ووسطي غايته بناء الاجتماع البشري، والتحضر الإنساني الذي يكون بمقدوره تحقيق مقاصد الشارع في الخلق، وتوفير موجبات الاستخلاف للعباد. لقد كان صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس حسب افهامهم، ودرجات وعيهم، وقدراتهم، وفي كل خطابه راعى الرحمة، والتيسير على الخلائق، وحملهم محمل المصلحة، ورفع الحرج، ونبذ

شرائع الإصر والأغلال، وإدخالهم في السلم كافة، قال تعالى: ﴿*وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين*﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا)(متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه).

نكث العهود يغري العدو بالأمة

صفوة القول

إن الأزمة التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية خصوصاً، والإنسانية عموماً، ليست أزمة منهج، وإنما أزمة فهم للمنهج، وكيفية التعامل معه. أزمة تنزيل للمنهج على الواقع، وتقويمه به. فالإسلام بمصدريه الخالدين: الكتاب والسنة، والسيرة كتنزيل عملي وأنموذج، هو المنهج، وأن المعايرة للواقع، والتحديد للخلل والمشكلات والأزمات، إنما يكون في ضوئها. وأن أي معاودة للنهوض، واستئناف السير الاجتماعي والحضاري، مرهون بتقويم الواقع، وفق ذلكم المنهاج.

إن تعاليم النبوة في المسألة الاجتماعية، تشكل بالنسبة للمسلم، إن هو فقهها تماماً، مركز الرؤية، وتبصر بالسنن الاجتماعية الأساسية التي تحكم مسيرة الحياة، والاجتماع البشري، والتي تشكل له عواصم من الزلل. كما أنها تمكن في الوقت نفسه من الإفادة من الوسائل التي حاولت مناهج البحث الغربي تجريدها في أدوات تسهم في تقليل الخطأ في النتائج، كالتأكيد على استخدام الملاحظة، والإحصاء، والاستبيان، واختيار العينات، والمقابلة، والمعايشة، والمقارنة، والمطابقة.

وهذه كلها أدوات تستعين بها العلوم الاجتماعية اليوم، ويمكن أن تستعين بها العلوم الاجتماعية الإسلامية، وتصوب، وتحسن توظيف نتائجها بما تمتلك من الضوابط المنهجية في الوحي المعصوم، والسنن الاجتماعية التي شرعها الكتاب، وبينتها السنة. إن المسلمين قادرون على هضم التراث العالمي في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية، والتجاوز بها إلى تحقيق المقاصد، والحكم، والوظائف التي يفتقدها الغربي، الذي أوجد علماً، وأضاع حكمة، وأبدع وسيلة، وافتقد غاية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التقيد بالشرع يؤدي إلى تماسك الأسرة وتضافر المجتمع

---

* كاتب وأكاديمي من مصر. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج١، ص:٢٩٣-٢٩٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ص:٣٣٦.

(٣) برغوث عبد العزيز بن مبارك: المنهج النبوي، والتغيير الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، العدد: ٤٣، رمضان ١٤١٥هـ، قطر، ص٩٣- وما بعدها.

(٤) برغوث عبد العزيز بن مبارك: المنهج النبوي، والتغيير الحضاري، مصدر سابق، ص:٩٦.

(٥) الموافقات، ص:١٦٨.

(٦) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ص:١١.

(٧) رجاء جارودي، مستقبل الإسلام في الغرب، ترجمة د.رفيق المصري، دار العالم للطباعة والنشر، جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص:١٧.

المراجع والمصدر:

- برغوث عبد العزيز بن مبارك: المنهج النبوي، والتغيير الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، العدد: ٤٣، رمضان ١٤١٥هـ، قطر.
- د.أحمد محمد كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنّة الله في الخلق، كتاب الأمة العدد: ٢٦، المحرم ١٤١١هـ، قطر.
- منصور زويد المطيري: الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع.. الدواعي والإمكان، كتاب الأمة، العدد، ٣٣، قطر.
-السيرة النبوية لابن هشام. - مقدمة أبن خلدون. - ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- رجاء جارودي، مستقبل الإسلام في الغرب، ترجمة د. رفيق المصري، دار العالم للطباعة والنشر، جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ. - رجاء جارودي: الإسلام وأزمة الغرب ترجمة د. رفيق المصري، دار العالم للطباعة والنشر، جدة،ط١، ١٤٠٣هـ.

بر الوالدين تمنٍ أم فرض؟

أ. خالد حنون*

لا ندعي أن الإسلام تفرد بطلب الإحسان للوالدين، لكن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أمر ولم يتمنَ على أتباعه ببر الوالدين. وربط رضاهما برضى الله، وجعل برهما من الأعمال التي تقرب العبد من ربه، وعقوقهما من الأعمال التي تدخل النار، وإن صام المسلم وإن صلى. لا بل قدمه النبي عليه الصلاة والسلام على الجهاد (عندما يكون فرض كفاية). "...قال عَبْدِ اللَّهِ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي" . (رواه البخاري ومسلم).

وقد ذكر القرآن الكريم أربع آيات قرن الله تعالى فيها الأمر بالإحسان إليهما بعبادته التي هي توحيده :

- ﴿ *وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا* ﴾ (البقرة 83)
- ﴿ *وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا* ﴾ (النساء 36)
- ﴿ *قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا* ﴾ (الانعام 151)
- ﴿ *وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* ﴾ (الإسراء23)

والآية الأخيرة تشير بوضوح إلى أن الله تعالى نهى أن

يقال لأحدهما «أُفٍّ» حرصا على مشاعرهما التي تزداد حساسية مع العمر ولو كان في اللغة العربية أقل من كلمة «أُفٍّ» لأنزلها الله تعالى مكانها.

بر الوالدين في الصين سيصبح إجباريًا

الملفت للنظر في موضوع الوالدين في العالم اليوم ما ستقدم عليه الصين وهي الدولة الشيوعية العظمى في العالم إذ أنها ستسن قانونًا تحاكم فيه كل من سيعق والديه لأن التمني والتراث والثقافة ودور الرعاية الاجتماعية – كما سيأتي – لم تعطِ نتيجةً مرضية.

الخبر جاء في وسائل الإعلام العالمية ونقله موقع BBC في مطلع هذه السنة عارضًا الأسباب التي دعت إلى تلك الخطوة وقد عنون التقرير: في الصين رعاية الآباء تصبح واجبًا قانونيًا. وفي التفصيل أن السلطات الصينية تدرس حاليًا مشروع قانون، يجعل زيارة الناس لآبائهم المسنين ورعايتهم لهم أمرًا واجبًا من الناحية القانونية. وبموجب مسودة القرار، الذي أعلن عنه عبر وسائل الإعلام الحكومية، سيكون بإمكان المسنين الطلب من المحاكم والقضاء فرض حقهم في الحصول على رعاية معنوية وفعلية من أبنائهم.

يشار إلى أن الصين تواجه مشكلة تنامي فئة المسنين والمتقاعدين. ويقول مراقبون إن العناية بالآباء هو جزء من التراث والثقافة الصينية، إلا أن موجات الهجرة المتعاقبة وضغوط العمل زادت من التفكك الأسري. وتشير الأرقام إلى إن نحو ثمن سكان الصين هم ممن تزيد أعمارهم على 60 عامًا، وأكثر من نصف هؤلاء يعيشون وحيدين.

وقد تسبب قانون تقييد الأسرة الصينية بإنجاب طفل واحد فقط، والمطبق منذ عشرات الأعوام، في تضاؤل عدد العمال والموظفين أمام تزايد عدد الآباء المحتاجين للرعاية. وعلى الرغم من ارتفاع عدد دور الرعاية الاجتماعية في الصين، إلا أن السلطات شعرت بالقلق من القصص المتكررة عن المسنين الذي يموتون من دون أن ينتبه إليهم أحد في شققهم.

وقال أحد المحامين الصينيين المتخصصين في الشؤون الأسرية، في تصريحات لوسائل الإعلام الحكومية، أن قانونًا مثل هذا سيكون صعب التطبيق أو الفرض. ويوجد في الصين حاليًا نحو 176 مليون نسمة ممن هم فوق الستين من العمر، منهم قرابة مليون شخصًا تجاوز الثمانين. (...)

---

* khaled-hanoun@hotmail.com

نصف لغات العالم ستنقرض بحلول عام ٢٠٥٠ مقابل توسع استعمال العربية*

كشفت مديرة برنامج ذاكرة العالم بمنظمة اليونسكو جوي سبرنغر أن «دراسات حديثة أجريت خلال السنوات القليلة الماضية أكدت أن نصف لغات العالم ستختفي بحلول عام 2050». وخلال افتتاح الندوة الدولية الثالثة حول التعددية اللغوية والعولمة والتنمية في مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع بيت اللغات «لينغوامون»، ومؤسسة روبرتو مارينهو بالبرازيل وبرعاية اليونسكو وإدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، أكدت سيرنغر أن التعددية اللغوية العالمية تواجه خطر الانحسار. وأوضحت أن «منظمة اليونسكو أطلقت برامج متعددة لتوفير فرص جديدة للتواصل بين أكثر من ستة آلاف لغة في العالم بهدف التركيز على موضوعات التعددية اللغوية وبخاصة على الإنترنت».وتابعت «بالإضافة إلى أننا في اليونيسكو نركز الآن على ضرورة تضمين لغات الأقليات في مواقع الخدمات العامة وذلك على ضوء دراسات نقوم حاليا بتنفيذها لقياس التعدد اللغوي على الإنترنت».

واعتبر الأمين العام لمؤسسة روبرتو مارينهو هيوغو باريتو أن «التنوع اللغوي من أهم الكنوز التي يتمتع بها العالم وذلك في إطار التحدي الذي تواجهه اللغات في عصر تقدم التكنولوجيا والوسائط المتعددة».وكان مدير مؤسسة لينغوامون انطوني مير أشار في كلمته الى «دراسة أثبتت أن أكثر اللغات المستخدمة على موقع فيسبوك(بعد الإنكليزية والفرنسية)، هي اللغات الثلاث الإسبانية والبرتغالية والعربية، وإنني أتوقع أن يكون للغة العربية دور أكبر في السنوات المقبلة في هذا المجال».

وشدد مير على «أهمية ثلاثة محاور في الحفاظ على التعدد اللغوي عبر تدعيم القيم العالمية للتنوع اللغوي، مشيرا إلى أن أهم ثلاثة محاور في الحفاظ على التعدد اللغوي هي الاتصال وتقديم فرصة لنشر اللغات من خلال الوسائل التكنولوجية الحديثة والتفاعل الذى يطرح طرقا جديدة للاتصال على الإنترنت والمشاركة الإعلامية التي تعتبر بمثابة باب مفتوح على اللغات المختلفة خاصة من خلال مواقع الشبكات الاجتماعية».

وضمن السياق أشار مساعد الأمين العام للأمم المتحدة لشؤون الاتصالات والإعلام كيو اكاساكا إلى «قيام البرامج والمواقع الأكثر انتشارا على الشبكة العنكبوتية التي أدركت أهمية التنوع اللغوي بتوفير محتوى لهذه المواقع بلغات متعددة مثل موقع «اليوتيوب» بأكثر من 12 لغة وتعديل تطبيقات «فيسبوك» لدعم جميع اللغات وكذلك موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» سيطلق نسخة عربية له بحلول عام 2011».

وعلى الصعيد العربي أكد الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية محمد صبيح على أن «الجامعة تضع كافة إمكانياتها لدعم برامج التعدد اللغوي وإنشاء المنتديات العلمية مع الدول المختلفة كاليابان ودول أمريكا اللاتينية وغيرها». وأوضح أن «هذا الموقف يأتي من إيمان الجامعة بأهمية التواصل ومعرفة الآخر والتعرف على ثقافات الشعوب المختلفة».

وقد انعقدت الندوة الدولية الأولى للتنوع اللغوي والعولمة والتنمية في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية في ختام السنة الدولية للغات بينما انعقدت الندوة الثانية في ساو باولو عام 2009.

---

* 30/11/2010 – القاهرة – ا ف ب (مراجعة العدد الحادي عشر من مجلة «الإعجاز»)

heart all the time and practiced all the time to make it habitual during sleep or while awake or in shock or distress. Allah has provided a way for mankind to drive away Satan by uttering the divine revelation 'A–'oo thu bil–laa–hi mi–nash–shai–¬taa–nir ra–jeem. Bis–mil–laa–hir– Rah–maa–nir Ra–heem. » meaning «I seek refuge in Allah from Satan the outcast، In the name of Allah ، The Most Gracious ، The Most Merciful». Whenever a Muslim starts to do anything e.g. eat، drink، sleep، travel، switch on the computer، open the book to read or write، enter bath room ، twilight ، travel، enter into vehicle، sleep with his wife، gets up from sleep، he recites this verse to drive away Satan.

In order to die as a Muslim with faith one must also practice virtues of Islam (good practice) such as the 5 pillars of Islam.

1. Faith («Laa ilaha illallah Muhamadur Rasullulah») «there is no God except Allah، Muhammad is the messenger of Allah»، it must be believed in the heart and said by mouth repeatedly to become habitual and to not forget at the time of accident or sleep or distress or death. This is the most important faith. This is the visa to enter paradise. Without faith one may not enter paradise. The biggest tug of war inside our soul is faith. A muslim will not bow his head to anything living or non living to worship except Allah.
2. Pray five times a day (dawn، afternoon، evening، sunset and night).
3. Pay Zakat (poor man's money Alms)
4. Fasting one month in Ramadan
5. Hajj (pilgrimage to Mecca) once in a life time.

The first two are compulsory and a must for all muslims. The other three depends upon one's health and wealth.

Therefore this third stage is very important testing ground for human being. It is the duty of muslims to remind each other and his non–muslim friends about Allah، death، the next life (resurrection)، reward and punishment، hell and paradise. Muslims are like living in jail in this temporary world. Muslims must obey the laws stated in Quran، avoid adultery، alcohol، gambling، cheating، observe Halal (lawful) and Haram (unlawful) food and Halal and Haram money and usury، etc. Muslims must undergo many tests and practice Islam. Muslims must be patient constantly، must bear and accept that good and bad are preordained and decreed by Allah and say Alhamdullilah (All praise and thank be to Allah) all the time in order to enjoy reward in the Hereafter، which is everlasting. Muslims must work hard in this third stage temporary world with fear، repentance ، ask forgiveness for wrong doing mistakes with hope and mercy from God to prevent from hell fire and enjoy reward in the next life. Allah will forgive all kinds of sins except Polytheism.

Stage 4. Death. (الموت)

After the soul is drawn from the body Allah keeps it in a place called Alam Barzaak. Good people's soul are kept in a good place and bad people's soul in a bad place until Kiyamat (Judgment day) arrives، when everything is destroyed except Allah. There will be resurrection of all Mankind

Stage 5. Resurrection on the Judgment day. (البعث يوم الحساب)

All souls will get up from the graves. Obedient souls will go to paradise for ever. Disobedient souls will go to hell for punishment. Those who ignore or reject or refuse to believe Allah and who worshipped false gods rather than Allah، The Creator ، in this world ، will go to Hell forever in the next world.

Stage 6. The end stage for disobedient soul is to enter Hell fire.

(مصير أرواح العصاة إلى جهنم)

Stage 7. The end stage for obedient soul is peaceful to enter paradise.

(مصير أرواح الطائعين إلى الجنة)

In paradise they will be free from sickness، illness and will at all times be healthy، clean، peaceful and satisfied with provisions، with beautiful young companions and of no ageing، to dwell in forever. This is because Allah is satisfied with the soul who is obedient to His Divine laws and the soul is also satisfied with Allah.

** Complete article is found on the web site www.IslamiCity.com. Article Ref: KK101-24379.*

Seven stages of life in Islam

المراحل السبع للحياة في الإسلام

Dr. Mohdi Ibrahim Suleiman

Stage 1. Life in Lau Ho Mahfuz.(اللوح المحفوظ)

Allah created all the souls of the descendants of Adam and Hawa (Eve) who were predestined to come to this earth. Everything about the universes and our soul before and after creations are documented and recorded in the tablet (book) board in heaven (Lauho Mahfuz). Allah once asked all the created souls، «who is your Lord؟». All the souls said «You are our Creator our Lord». But souls forget the covenant when they descend to the earth. Some have faint or vague memory of Allah (God) in the inner core of the heart.

Stage 2. Life in the mother's womb.(رحم الأم)

The soul is sent down to this earth into the body of fetus developed in the mother's womb and the fetus becomes alive. The fetus was swimming in the amniotic fluid inside the uterus like a fish. It does not breathe air. The fetus was fed by the blood through the placenta of the mother and supplied to the body of the fetus by means of umbilical cord. Do we remember how we lived 9 months inside the mother's womb؟

Stage 3. Life in this world.(في هذه الحياة الدنيا)

At the fetal age of 36 to 40 weeks (pregnancy) the baby is born. The baby breaths the first time and cries. The newly born baby is clean، innocent ، free from sins، grows، develops ، learns and is brought up in muslim families or in non–muslim families. The soul in the baby forgot Allah and the promise (covenant) given in the heaven that Allah is his Creator and Lord.

The babies brought up in muslim families will be taught Quran and reminded about Allah and Islam to worship only The One Allah. To avoid worshipping false gods. False gods are either made by man from wood or stone or the creation of Allah (such as sun ، moon، tree، fire، water، animals ، spirits، the content of the universe). Muslims only worship one creator (Allah) but not the creations. Muslims do not associate anything with Allah.

Allah has sent Prophets from the time of Adam to the time of Prophet Muhammad (SAW)، the last Prophet، to remind all mankind to worship one God Allah. There were divine revelations (books) sent down through Prophets including Abraham، David ، Solomon، Moses، Jesus and Muhammad (Pbuh).

Muslims believe all the Prophets and their books (psalms، Torah، Bible and Quran). Quran is the latest divine revelation (words of Allah) revealed to Prophet Muhammad (Pbuh) 1400 years ago and is preserved without any flaws and amendments done by humans up to date. Whereas all the other Holy books were altered or corrected by humans and the original statements were corrupted and become doubtful. Allah said in Quran he will preserve the Holy Quran until the end of the world so no man can alter it. Quran is revealed in Arabic language whereas the Bible was revealed in Hebrew language. Quran updates all the previous holy books and teaches mankind about universal laws، moral concepts and narratives. The Quran's timeless text remains a miracle، an inspiration and guide to all humanity.

Muslims believe in Quran and follow Prophet's saying and example of his way of life. Those who believe in one Allah، his prophets، his books، his angels، the last day of judgment، the next life، good or bad come from predestined decree of Allah، the existence of hell and heaven، reward for good people and punishment of bad people are called Muslims.

Satan، the devil is proud and cast out by Allah because he is jealous of Adam، disobeyed Allah، and became avowed enemy of Mankind. He has the power to disturb man from the front، behind، by the sides and can enter the body، whisper evil in Man's heart as approved by Allah. Satan، the devil's job is to mislead man to hell. It is easy for Satan to mislead non–muslims to worship other than Allah but not true Muslims.

Muslims therefore practice and profess «there is no God except Allah، Muhammad is the messenger of Allah» (in Arabic «La ilaaha illallah Muhammadur Rasullulah») it must be said by mouth and believed in the

«هنالك»

محمد فرشوخ

قدّم الحكيم لجلسته فجر الأحد، بتلاوة من الآية 35 حتى الآية 40 من سورة آل عمران. وأخذ يفسر: يدخل زكريا النبي والرسول على مريم الفتاة الصدّيقة، عليهما السلام، في المحراب، ويستفسر منها: من أين لك بفاكهة الصيف ونحن في الشتاء؟ ﴿*قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ*﴾. ما أيقظ في روعه أن هذا المكان صار مباركاً مقدساً لكثرة ما تعبدت مريم وذكرت الله فيه. وأن الدعاء عنده لا بد أن يكون مجابا. فقال تعالى:﴿ *هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ . . .*﴾.

إستهل الحكيم بالتنبيه أن كلمة «**هنالك**» في الآية ليست زائدة، ثم تساءل : ماذا ينبغي على أحدنا أن يفعل حين يشعر بالضيق؟ حين تصيبه كآبة؟ أو حين يشعر بانسداد الآفاق في وجهه؟ أو حين تشتد حاجته لشيء لا يقضيه إلا الله؟ هل يخرج من بيته مغاضباً ؟ أو يذهب إلى مكان للتسلية في معصية؟ أو يهيم على وجهه بغير هدىً؟ أو يغلق الباب على نفسه فتأكله الهواجس؟

"**هنالك**" أماكن مقدسة مباركة من أتاها وابتهل فيها إلى الله قضيت حاجته وذهب عنه ضيقه وفرج الله عن كربته. وهنالك أماكن أخرى يعصى الله فيها، من أتاها زادت غفلته، وقويت كربته، واشتد سخط الله عليه.

"**هنالك**" عباد مباركون رضي الله عليهم، إذا رؤوا ذكر الله لرؤيتهم، وببركة صحبتهم بارك الله في رفقتهم، ووسع عليهم معيشتهم ودلهم على طريق سعادتهم. كما أن "**هنالك**" أناس سخط الله عليهم لإقدامهم على ظلم أنفسهم وظلم غيرهم، ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي وظلموا الناس باستعبادهم واغتصاب حقوقهم. فنال من وقف إلى جانبهم قسطاً من غضب الله وسخطه.

"**هنالك**" أزمنة ومواقيت ومناسبات تباركت حين حلّت، ثم تبارك ذكرها كلما تذكرها الذاكرون، وعندها تقضي الحوائج وتنفرج الكربات. كما أن "**هنالك**" مواقيت أخرى للظلم اشتد فيه غضب الله وكلما ذكرت تبجحاً وتفاخراً عاد الغضب وعاد السخط على من ارتكبها وعلى من يستذكرها.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها».

وفي موطأ مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة. والمزدلفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن مُحَسّر» سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حُسِر فيه أي أعيَ وكلّ، وكأن اللعنات لا تزال تنزل فيه من يوم أن وطئه أبرهة، الطاغية الذي أراد هدم الكعبة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «تحولوا عن مكانكم الذي أصابتكم فيه الغفلة» حين نام النبي والمسلمون عن صلاة الفجر.

كما نهى أن يحضر الناس المكان الذي تنفذ فيه أحكام الإعدام، فقال:-ح: "إذا رأيتم الرجل يقتل صبرا؛ فلا تحضروا مكانه، فلعله يقتل ظلما فتنزل السخطة فتصيبكم".

و"*هنالك*" مواطن يكرهها الله ورسوله ويكره مرتاديها، يقول الله تعالى في سورة النساء: ﴿*وقد*

نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ، الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم... ﴾ (الآيتان 141-140).

وحكم بموجب هذه الآيات في مجالس أهل البدع على المعاشرة والمخالطة منهم أحمد بن حنبل والأوزاعي وابن المبارك فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع قالوا: ينهي عن مجالستهم، فإن انتهى وإلا ألحق بهم، يعنون في الحكم. وقد حمل عمر بن عبدالعزيز الحد على مجالس شربة الخمر، وتلا «إنكم إذا مثلهم».أي إن الرضا بالمعصية معصية؛ ولهذا يؤاخذ الفاعل والراضي بعقوبة المعاصي حتى يهلكوا بأجمعهم.

وفي ذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ. مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ ***وَاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة*** ﴾ ..

من الأماكن المباركة «**هنالك**» المسجد الحرام وفي الحديث: «إن الله تعالى ينزل على أهل هذا المسجد، مسجد مكة، في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة: ستين للطائفين، وأربعين للمصلين، وعشرين للناظرين».

و"**هنالك**" المسجد النبوي الشريف أيضاً وفي الحديث:"ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة".

"**هنالك**" مجالس مباركة، كل من حضرها بورك فيه وغفر له، فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال "إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة. فضلا. يتبعون مجالس الذكر. فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم. وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم. حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا. فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء. قال فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا. أي رب! قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك. يا رب! قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال فيقول: قد غفرت لهم. فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال فيقولون: رب! فيهم فلان. عبد خطّاء. إنما مر فجلس معهم. قال فيقول: وله غفرت. هم القوم لا يشقى بهم جليسهم".

"**هنالك**" مخلوقات غير البشر من حيوان وماء ونبات، بعضها مبارك وبعضها ملعون، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ. فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا. فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ". وفي رواية: [فَقَالَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ"].

وماء زمزم ماء مباركة، وفي الحديث الشريف: " آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم ".

و"**هنالك**" كذلك مياه حلت عليها اللعنة ولم تزل، ففي الحديث الصحيح عن ابن عمر أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة (تبركاً).

"**هنالك**" مواقيت طيبة مباركة من وقف فيها بين يدي الله تائباً مخلصاً، غفر له وفي الحديث الشريف: "هذه ليلة النصف من شعبان إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم"، رواه البيهقي.

من المواقيت الطيبة الثلث الأخير من الليل، وعند انتظار الصلاة، وبين الأذان والإقامة، وعند هطول المطر، وحيث يعبد الله ، وحيث يفعل الناس الخير، وفي الحديث:" إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا ".

وحين تستعاد قصص الأنبياء والصالحين تتنزل الرحمات، وتقشعر الأبدان وتدمع العيون وتترطب القلوب.

"**هنالك**" مشاهد مباركة تذكر، من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً، وكأنك كنت معه، تعيش الحالة بمقدار حبك له: محمد الرضيع اليتيم، ومحمد الفتى المتفكر في الصحراء يرعى الغنم، ومحمد الشاب الصادق الأمين ، ومحمد المضطهد المطارد يناجي ربه والدماء تسيل من قدميه: "اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس.."، ومحمد المهاجر في الصحاري إلى المدينة عطشاً جائعاً تعباً: ﴿***إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد***﴾ ، ومحمد الذي تستقبله الزغاريد عندما وصل إلى المدينة، ومحمد الذي يقضي ليلة غزوة بدر ساجداً مبتهلاً وأبو بكر يخفف عنه ويمنّيه، ومحمد الذي يبكي أصحابه شهداء أحد، ومحمد على رأس الكتيبة الخضراء يدخل مكة فاتحاً، ومحمد يعالج سكرات الموت ويلح ويوصي بالصلاة.

فمن قرأ واستحضر مشهداً من التاريخ المجيد وشعر كأنه دخل فيه كان كأنه واحد من أهله. إن خيراً فخير، وإن سوءاً فسوء. فمن أحب قوماً حشر معهم، صالحين كانوا أو عاصين.

قال تعالى: ﴿***يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين***﴾ .كونوا جسداً بالصحبة وروحاً بالحب والإيمان، كونوا تذكراً إذا غابوا، وحافظوا على ما عاهدتم عليه، و»المرء مع من أحب».

"**هنالك**"، بركات من آثار شريفة بها يتبارك الصالحون ويتفاءلون ، ولنتذكر قصة القلق الذي ساور سيدنا خالد بن الوليد قبيل المعركة لأنه فقد عِمّة له، وقد خاط فيها شعيرات من أثر الرسول صلى الله عليه وسلم.

و"**هنالك**"، كان أبو أيوب الأنصاري وزوجته إذا أنتهى النبي من طعامه يتيممان موضع أصابعه من الطعام في القصعة يريدون البركة.

وقبض السامري المنافق قبضة من التراب المبارك الذي خطا عليه الملك جبريل، وبه استعان ليفتن بعض قوم موسى من بني إسرائيل، واقرأوا قوله تعالى في سورة طه: ***قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ*** [٩٥]***قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي*** [٩٦].

ختم الحكيم جلسته قائلاً: فانتبه يا أخي من "**هنالك**"، فشتان بين "**هنالك**" و"**هنالك**". "**هنالك**" قد تعني المكان، و"**هنالك**" قد تعني الزمان، و"**هنالك**" قد تعني الإنسان . "**هنالك**" توصل إلى الرحمن و"**هنالك**" تؤدي إلى المهالك. فأي "**هنالك**" يخطر ببالك؟

ثم دعا وأمّن الحاضرون: (اللهم يا مؤنس كل وحيد ويا صاحب كل فريد ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً غير مغلوب، يا ذا الجلال والإكرام: أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك، نسألك السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار، إنك أنت العزيز الغفار).

الإعجاز تستهل عامها الخامس

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة لبنان

العدد السابع عشر-السنة الخامسة-ربيع ١٤٣٢هـ-٢٠١١ م

مجلة

الإعجاز

توزَّع مجاناً

في كافة المناطق اللبنانية

ساهِم في توسيع انتشارها

للتبرع وبكل شفافية

بنك عودة في كافة فروعه

رقم الحساب

٠١ ٠٦٢ ٠٠٢ ٤٦١ ٠٧٤ ٨٧٨

Opening Soon in JEITA
Mazen World
TOYS
FURNITURE
BABYWEAR
ACCESSORIES
The Biggest World of TOYS!
Corniche el Mazraa
01 300 444
Dbayeh Highway
04 402 388
Sodeco Square
01 398 891
Le Mall SAIDA
07 726 526

www.fakhourymotors.com

TRULY YOURS®

FAKHOURY MOTORS

LUXURY THAT MOVES®

خلص الأجرة
لبنان
LIBAN
P.P.
MAZRAA

ب. ٣٧١
P. 371

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة-لبنان

بيروت، لبنان

جادة الراشدين – تقاطع بسترس الصنائع

سنتر مونتي مارينا-بلوك C ط٣

هاتف:٩٦١١٣٤٦٦٩٩+ – فاكس: ٩٦١١٣٤٦٦٨٨+

بريد إلكتروني: iijazforum@gmail.com